



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الاجتماعية

مذكرة بعنوان:

الفكر السياسي في العصر الحديث

جون جاك روسو أنموذجاً

مذكرة مكملّة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

إشراف الأستاذة:

د. سارة بلخيري

إعداد الطلبة:

* حمزة بالعجال

* محمد الطاهر باسو

لجنة المناقشة:

| الصفة | الجامعة | الرتبة | اللجنة |
|----------------|-------------------------------|---------------|-------------------|
| رئيساً | جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي | أستاذ مساعد أ | د. حنان بوزينة |
| مشرفاً ومقرراً | جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي | أستاذ مساعد ب | د. سارة بلخيري |
| مناقشاً | جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي | أستاذ محاضر أ | د. محمد العيد بسي |

السنة الجامعية: 2024 / 2023



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الاجتماعية

مذكرة بعنوان:

الفكر السياسي في العصر الحديث

جون جاك روسو أنموذجا

مذكرة مكتملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة العلوم الاجتماعية
تخصص: فلسفة عامة

إشراف الأستاذة:
د. سارة بلخيري

إعداد الطلبة:
* حمزة بالعجال
* محمد الطاهر باسو

لجنة المناقشة:

| الصفة | الجامعة | الرتبة | اللجنة |
|--------------|-------------------------------|---------------|-------------------|
| رئيسا | جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي | أستاذ مساعد أ | د. حنان بوزينة |
| مشرفا ومقررا | جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي | أستاذ مساعد ب | د. سارة بلخيري |
| مناقشا | جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي | أستاذ محاضر أ | د. محمد العيد بسي |

السنة الجامعية: 2023 / 2024

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَعَلَى صَحَابَتِهِ
الْكَرَامِ وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَنَا لِلْقِيَامِ بِهَذَا الْعَمَلِ الْمُتَوَاضِعِ وَسَهَّلَهُ لَنَا بِفَضْلِهِ
وَمِنْتَهُ.

نهدي ثمرة جهدنا المتواضع هذا إلى من عليهم فضل علينا
.... ابائنا وامهاتنا....

والى الدكتورة المشرفة "بلخيري سارة" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها
ونصائحها الصائبة وللجنة المناقشة على قبولها مناقشة هاته المذكرة.

وإلى كل أصدقائنا وزملائنا وكل أصحاب النفوس الطيبة

شكر و عرفان

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله المنان، الملك القدوس السلام، مدبر الليالي والأيام، مصرف الشهور والأعوام، قدر الأمور فأجراها على أحسن نظام، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، الحمد لله على ما أنعم به علينا من فضله الخير الكثير والعلم الوفير وأعاننا على إنجاز هذا العمل الذي نحتسبه عبادة من العبادات جعلها الله خالصة لوجهه الكريم.

وبعد حمدا لله تعالى وشكرا على إنهاءنا لهذه المذكرة نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذتنا الفاضلة د/ بلخيري سارة على ما بذلته من جهد مستمر ونصح وتوجيه من بداية مرحلة البحث حتى إتمام هته المذكرة، ومهما كتبنا من عبارات وجمل فإن كلمات الشكر تظل عاجزة عن إيفائها حقها، فجزاها الله عنا خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتها. والشكر موصول لأعضاء اللجنة على قبولها مناقشة هاته الرسالة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل الى كل من مدنا يد العون ولو بكلمة طيبة. فالحمد لله ربي العالمية أولا وأخرا ظاهرا وباطنا عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته والصلاة والسلام على خير البرية.



الملخص

ملخص:

لا شك أن الفيلسوف والمفكر الفرنسي "جون جاك روسو" من الفلاسفة المتميزين، إذ تختلف عبقريته عن غيره من الفلاسفة الذين تغنوا بالإنسان الطبيعي بصوره في صورة الانسان الهاني السعيد، الذي لا يعرف القيود والحوجز ويتصرف بتلقائية وحرية، فقد تركت أعماله وأفكاره بصمة في الفكر السياسي، باعتباره فيلسوف الطبيعة هذه الاخيرة أساس الخير والجمال، ومن خلال دعوته للمجتمع الطبيعي القائم على مبادئ الحرية والعدالة والمساواة هي أسس كلها قوام للمجتمع المدني المتحضر، وقد ناضل "روسو" من أجل ترسيخ حقوق الانسان من خلال نظرياته السياسية والتي جعلها كأساس لإصلاح المجتمع، هذه النظريات السياسية تنطلق من موقفه من خلال العقد الاجتماعي بين الحاكم والرعية، فهو الميثاق الذي يربطهم، وقد كان معروف قبل روسو إلا أنه كانت له بصماته الخاصة فيه، فهو لم يكن معدا ، بل ناضل فكره السياسي لصالح الفرد وحقوقه وكذا رفع من قيمة المجتمع، وذلك برفضه لكل تغير اجتماعي على حساب الأفراد، إذ توصل في النهاية الى أن أفضل نظام حكم قائم هو الديمقراطية كونها صالحة لكل اجتماع انساني، فنظريته شكلت تحولا جذريا في المفاهيم السياسية، وأدت إلى ميلاد ثورات وقوانين جديدة قلبت الموازين القديمة السائدة في أوروبا خاصة و العالم عامة.

وبهذا نستطيع القول ان نظرية روسو السياسة متكاملة ومع انها تشترك مع غيرها من النظريات إلا أنها تشكل مذهبا سياسيا منفردا.

الكلمات المفتاحية: الفكر السياسي، العصر الحديث، جون جاك روسو


Summary:

There is no doubt that the French philosopher and thinker Jean-Jacques Rousseau is one of the distinguished philosophers, as his genius differs from other philosophers who praised the natural human being by portraying him in the form of the happy, carefree human being, who does not know restrictions and barriers and acts spontaneously and freely. His works and ideas left an imprint on political thought, as he the philosopher of nature, the latter the basis of goodness and beauty and through his call for a natural society based on the principles of freedom, justice and equality are the foundations of civilized civil society. Rousseau struggled to establish human rights through his political theories, which he made a basis for reforming society. These political theories take off from his position on the social contract between the ruler and the subjects; it is the charter that binds them. It was known before Rousseau, but he had his own mark on it. He was not prepared. Rather, his political thought fought in favor of the individual and his rights, as well as raising the value of society, by rejecting all change. Social at the expense of individuals, as he ultimately concluded that the best existing system of government is democracy, as it is suitable for every human meeting. His theory constituted a radical shift in political concepts, and led to the birth of revolutions and new laws that changed the balance.

The old prevailing in Europe in particular and the world in general.

Thus, you can say that Rousseau's theory of politics is integrated, even though it has similarities with other theories However; it constitutes a single political doctrine.

Keywords: political thought, modern era, Jean-Jacques Rousseau



الفهرس

فهرس المحتويات:

| | | |
|----------------------------|---|--|
| III | 1. الاهداء | |
| IV | 2. شكر وعرفان | |
| VI | 3. الملخص | |
| VIII | 4. فهرس المحتويات | |
| أ-ج | 5. مقدمة | |
| 18 | 6. مدخل عام | |
| الفصل الأول: | | |
| ماهية الفكر السياسي | | |
| 21 | 1. تمهيد | |
| 22 | 2. المبحث الأول: مفهوم الفكر السياسي | |
| 22 | 3. 1: الدلالة اللغوية للفكر السياسي | |
| 23 | 4. 2: الدلالة الفلسفية للفكر السياسي | |
| 26 | 5. المبحث الثاني: الارهاصات الممهدة لظهور الفكر السياسي | |
| 26 | 6. 1: الحضارات الشرقية القديمة (الحضارة الصينية كونفوشيوس أنموذجا) | |
| 26 | 7. أ- الكونفوشيوسية والفكر السياسي الصيني: | |
| 27 | 8. ب- أفكار كونفوشيوس السياسية: | |
| 31 | 9. 2: الفكر السياسي اليوناني (أفلاطون، أرسطو) | |
| 31 | 10. أ- الفكر السياسي عند أفلاطون | |
| 36 | 11. ب- الفكر السياسي عند أرسطو | |
| 40 | 12. 3: الفكر السياسي في العصر الوسيط (الفكر السياسي الإسلامي والفكر السياسي المسيحي). | |
| 40 | 13. أ- الفكر السياسي الإسلامي | |

| | | |
|--|---|-----|
| 45 | ب-الفكر السياسي المسيحي | .14 |
| 49 | المبحث الثالث: معالم الفكر السياسي قبل جون جاك روسو | .15 |
| 49 | 1: الفكر السياسي من منظور توماس هوبس Thomas Hobbes | .16 |
| 52 | 2: الفكر السياسي من منظور جون لوك John Locke | .17 |
| 57 | استنتاج | .18 |
| الفصل الثاني: | | |
| أسس الفكر السياسي لجون جاك روسو | | |
| 59 | تمهيد | .1 |
| 60 | المبحث الأول: تصور جون جاك روسو للمجتمع الإنساني | .2 |
| 60 | 1: الحالة الطبيعية للإنسان | .3 |
| 63 | 2: نظرية العقد الاجتماعي | .4 |
| 68 | المبحث الثاني: مقومات الدولة عند جون جاك روسو | .5 |
| 68 | 1: الإرادة العامة | .6 |
| 70 | 2: السيادة | .7 |
| 74 | 3: نظام الحكم | .8 |
| 79 | المبحث الثالث: ابعاد الفكر السياسي لجون جاك روسو | .9 |
| 79 | 1: الإنسانية | .10 |
| 82 | 2: العلمانية | .11 |
| 86 | استنتاج | .12 |
| الفصل الثالث: | | |
| الفكر السياسي بعد جون جاك روسو | | |
| 88 | تمهيد | .1 |
| 89 | المبحث الأول: ايمانويل كانط | .2 |

| | | |
|-----|-----------------------------|----|
| 92 | المبحث الثاني: فريدريك هيغل | .3 |
| 95 | المبحث الثالث: إرنست كاسيرر | .4 |
| 100 | استنتاج | .5 |
| 102 | خاتمة | .6 |
| 104 | قائمة المراجع | .7 |



مقدمة

كان القرن السابع عشر وليد لفكر ومفكرين زرعوا بذور القومية ومفاهيم الدولة والأمة، ونقل مجال التفكير السياسي من ثنائية الكنيسة والسلطة الزمنية، الى ثنائية الحاكم والشعب معا داخل المجتمع المدني، لأن في الحالة الأولى الطبيعية كانت عيشة الإنسان، حيث وافق جون لوك الى ما دعا إليه هوبز، وهو الانتقال بالإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، وانشاء دولة من أجل الإبقاء على هذه الحالة الطبيعية والحفاظ على هذه الحقوق وتحقيق المساواة بين الناس، ومنه توطدت العلاقة بين الأفراد لبلوغ الأمن والسعادة، فكان لا بد من عقد اجتماعي للخروج من الحالة الطبيعية لتكوين مجتمع مدني.

ومنه يتضح أن الدولة العلمانية القائمة على أسس جديدة هي وحدها القادرة على استعادة الأمن والنظام والطمأنينة الى قلوب الناس، فالفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمعات، ونظرا للدور الكبير الذي يلعبه في قيام المجتمعات المتكاملة، فقد عاش هذا الفرد المراحل الحضارية بنوعيات متكاملة مختلفة من الإنتاج الفكري، فأنتج الانسان الفلسفات والنظريات والمذاهب التي كانت كلها تصب في الجرى الحضاري وتعكس صورة كل مرحلة من مراحل تطور البشرية.

ومن هذه الفلسفات التي جعلت الانسان هدفها الأسمى هي الفلسفة السياسية كونها تعبر عن فكر سياسي يتماشى والحالة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، وما يميز هذا النوع من الفكر هو أنه يهدف بالدرجة الأولى إلى تحليل المجتمعات، ومعرفة نمط معيشتها من أجل إيجاد السبل الكفيلة بضمان قيمة الفرد الإنسان، وسعيا وراء هذا الهدف فقد ظهرت عدة نظريات سياسية تبحث في هذا المجال، وتعمل على تحقيق هذه الغاية، ولعل من أبرز هذه النظريات نظرية العقد الاجتماعي ضمن أشهر النظريات والتي تناولت الحقوق الطبيعية للإنسان، هذه النظرية بقيت تشغل الفكر السياسي منذ زمن طويل، بل ولا تزال تشغله وتؤثر فيه تأثيرا واضحا، فقد لاقت فلسفة العقد الاجتماعي ترحيبا في أوساط المجتمع الأوربي نتيجة لوضعها الفرد في مركز ممتاز بصفته أحد طرفي العقد، وهذا ما يميز هذه النظرية كونها قالت بوجود مجتمع طبيعي يسمى المجتمع المدني، هذا المجتمع الأول الذي يحكمه قانوني الطبيعة ويتمتع أفراده بحقوق طبيعية، ومن بين فلاسفة العقد الاجتماعي الذين أكدوا هذه النظرية والتي شغلت الفكر السياسي نجد الفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو"* الذي هو محور بحثنا هذا، فلا يمكن للباحث في الفلسفة

* جون جاك روسو : ROUSSEAU ل. 1778/1712 مفكر وفيلسوف فرنسي ولد بجينيف تميزت حياته منذ ولادته بالشقاء والتشرد والتعاسة فبعد ولادته توفيت امه وعمره أسبوع لتتركه يتلقى العناية من الآخرين وبعد مغامرات عديدة عمل خادما تورنتو وفي عام 1741 استقر به المطاف بباريس حيث حاول ان يروج لمحاولة في تدوين الموسيقى ثم غادر باريس الى البناديقية حيث عمل كاتباً لسفير في فرنسا وفي سنة 1750 نشر خطابه في العلوم والفنون وفي سنة 1754 اصدر خطابا في التفاوت وفي سنة 1758 كتب رسالة في الميبر في المسرح وفي عام 1761 كتب العقد الاجتماعي وأخيرا كتابه المشهور اميل سنة 1762.

السياسية أن يتجاهل الدور الفاعل الذي قدمه فكر وفلسفة روسو السياسية، فمكانته هامة، ومع هذا تبقى الكثير من المسائل التي ناقشها في حاجة إلى دراسة، كون الفكر الإنساني متغير حيث الزمان والمكان والحالة، وهذا رغم الجهود التي بذلها روسو من أبحاث ودراسات سابقة، ولعل من أهم هذه الدراسات موضوع الفكر السياسي الحديث عند روسو، ولدراسة هذا الموضوع حاولنا أن نجد إشكالية رئيسية تتمحور حول ما يلي: إلى أي مدى ساهم "جون جاك روسو" في بناء نظام سياسي؟ كيف كان تصوره لتأسيس مجتمع سياسي وتوحيده؟ وهل يعتبر هذا التصور الذي قدمه جديد أم كان متداولاً من قبل عند الفلاسفة السابقين له؟

وهذا ما عبرنا عنه من خلال الأسئلة العديدة التي طرحناها والتي جاءت كالاتي:

- ما هي حقيقة الفكر السياسي؟

- ما هي أهم النظريات السياسية التي ساهمت في بروز الفكر السياسي قبله؟

- ما هي المبادئ التي ارتكزت عليها نظرية "روسو" السياسية؟

- وما هو مفهومه لنظرية العقد الاجتماعي؟ وما موقفه من أنظمة الحكم السياسية المختلفة؟

- كيف كانت رؤية كل من "كانط" و"هيغل" و"أرنست كاسيرر" للفكر السياسي؟

وقد اعتمدنا في معالجة هذا الدراسة أساساً على منهجية تساعد في حل الإشكالية، حيث اتبعنا المنهج التحليلي المقارن بالدرجة الأولى، وذلك بتحليل أهم المفاهيم التي تخدم هذه الدراسة والتي ركزت على الفكر السياسي عند "جون جاك روسو" إضافة إلى مقارنتها بالمعالجة التي تبناها الفلاسفة الذين جاؤوا بعده سواء في العصر الحديث مثل "كانط" و"هيغل" أو في العصر المعاصر مثل "أرنست كاسيرر".

وبناء على ذلك اعتمدنا خطة بحث معينة قسمنا فيها العمل إلى ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة:

أما الفصل الأول: حول ماهية الفكر السياسي والذي اندرج عنه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الفكر السياسي

01-الدلالة اللغوية للفكر السياسي.

02-الدلالة الفلسفية للفكر السياسي

المبحث الثاني: حول الإرهاصات الممهدة لظهور الفكر السياسي وقد احتوى على ثلاث مطالب:

01- الحضارات الشرقية القديمة (الصين النموذجي).

02- الفكر السياسي اليوناني (أفلاطون وأرسطو)

03- الفكر السياسي في العصر الوسيط.

المبحث الثالث: تحدثنا فيه عن معالم الفكر السياسي قبل جون جاك روسو:

01- الفكر السياسي من منظور "توماس هوبز".

02- الفكر السياسي من منظور "جون لوك".

لكن الفصل الثاني: جاء حول أسس الفكر السياسي لجون جاك روسو وتم تقسيمه الى ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول: تحدثنا فيه عن تصور "جون جاك روسو" للمجتمع الإنساني

01- نظرية العقد الاجتماعي.

02- الحالة الطبيعية للإنسان

المبحث الثاني: تحدثنا فيه عن نظرية الدولة عند "جون جاك روسو".

01- الإرادة العامة.

02- السيادة.

03- نظام الحكم.

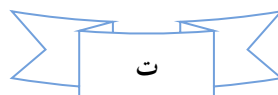
المبحث الثالث: وتناولنا فيه أبعاد الفكر السياسي لـ "جون جاك روسو":

01- الإنسانية.

02- العلمانية.

والفصل الثالث: دار حول الفكر السياسي بعد جون جاك روسو وتم تقسيمه الى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: حول فكر "كانط" السياسي.



المبحث الثاني: حول فكر "هيجل" السياسي.

المبحث الثالث: حول فكر "إرنست كاسيرر" السياسي.

مع العلم أن كل فصل من هذه الفصول احتوى على تمهيد معين والخروج بخلاصة لأهم ما جاء فيه.

وقد ختمنا بحثنا بخاتمة كانت بمثابة حوصلة لأهم النتائج والملاحظات التي خلصنا إليها من خلال البحث في هذه الدراسة.

والمراجع المتعلقة بالموضوع من أبرزها العقد الاجتماعي وأصل التفاوت واميل لجون جاك روسو ومجموعة من المراجع والدراسات السابقة والمجلات الاكاديمية والمواقع الالكترونية.

كما تبرز أهمية دراسة الفكر السياسي لـ "جون جاك روسو" في:

01 الحدائة السياسية: فروسو من اول المفكرين الذين استندوا الى مبادئ العدالة الاجتماعية في فكره كما دعا الى الحرية والمساواة من خلال مؤلفه الشهير العقد الاجتماعي هذا الاخير وليد نظريته السياسية من خلال تنازل الافراد عن حقوقهم الطبيعية لصالح الارادة العامة.

02 النقد الاجتماعي: من خلال رفضه للحالة الاجتماعية المتدهورة في المجتمع الاوربي عامة. كما كان له التأثير في الفكر السياسي الحديث والمعاصر.

03 التأثير على الحدائة: اثرت افكاره في التغيرات الاجتماعية والسياسية والنظم السائدة. فالفكر السياسي الروسي ساعد في فهم تأثيره على الحدائة والمجتمعات المعاصرة.

ونحن بهذا الموضوع نهدف إلى تحديد طبيعة الفكر السياسي بصفة عامة و"جون جاك روسو" على وجه الخصوص، وتوضيح الفرق بينه وبين الفلاسفة الذين جاؤوا بعده سواء في العصر الحديث أو المعاصر في رؤيتهم لهذه الدراسة إذا كان هناك فرق بينهما، وذلك من أجل إزالة الغموض عن كل إشكالية تمخضت عنها.

ولعل من بين أهم الأسباب التي أدت بنا لاختيار هذا الموضوع الاهتمام بالفلسفة السياسية بصفة عامة والفكر الروسي بصفة خاصة لما أحدثه - هذا الأخير- من ثورة جذرية على مستوى الفكر الإنساني والفكر الفرنسي خاصة.

ولقد اجهتنا العديد من العراقيين ومن أهمها القراءات المتعددة لفكر روسو وكثرة الترجمات واختلافها وكذلك الكم الهائل من المعلومات في مذكرة بسيطة الحجم، زيادة على ذلك افتقار مكتبتنا الى الكتب التي لها صلة

بالدراسات في هذا المجال الواسع والتي باستطاعتها اثراء هذا الموضوع أكثر والامام بجميع جوانبه المهمة، غير أننا بذكر هاته الصعوبات لا نلتمس الأعذار لأنفسنا فقد حاولنا قدر المستطاع تحليل الفكر السياسي الحديث ولما له من أهمية في تاريخ الإنسانية حاضرا أو مستقبلا.

وفي الأخير نقول ونؤكد أن هذا العمل المتواضع سوى محاولة حاولنا من خلالها تبيان ملمح الفكر السياسي الحديث وأخذنا فكر جون جاك روسو أنموذجا ولما أحدثه -هذا الأخير- من تغير في شتى مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

المدخل

العام

مدخل عام:

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية والتي مهدت لظهور الفكر السياسي الحديث في جميع نواحيه ومجالاته المتعددة سياسيا واقتصاديا وثقافيا في الجامعات والمعاهد الدينية، وبهذا اشتدت حولها الحركة العلمانية والفكرية التي ظهرت وبدأت كثورة جديدة في هذا العصر.

ويعتبر عصر الاكتشافات الكبرى و"الإصلاح" من التحولات الكبرى في كل الميادين، وهذا كتعبير صريح عن التوسع الاقتصادي والديمقراطي العام الذي كانت نتائجه الاجتماعية والسياسية بالغة الأهمية، وتعبير بعض التحديات في الشرائح القيادية للمجتمع، وهذه "الفلسفة" الحديثة كونها عبارة نطلقها عادة على المنارات الفكرية التي انتشرت أفكارها ابتداء من القرن السابع عشر ونهاية القرن التاسع عشر، وكما أن الفلسفة القديمة عبارة نطلقها على التيار الفكري الإغريقي الذي ساد خاصة في بلاد اليونان وجنوب إيطاليا في ما بين القرون السادس قبل الميلاد والثاني الميلادي والرابع عشر الميلادي¹.

وعليه فقد كان عصر النهضة الأوربية في إيطاليا هو التحرر من سلطان الكنيسة ورجال الدين، كذا التحرر من قواعد الأخلاق المتفق عليها، ومن فلسفة المدرسة التي أتت بها العصور الوسطى، ومنه يوجد نوعان من السلطة: السلطة المدنية وتمثل في الحكومة القائمة، والسلطة الدينية وتمثل في "البابا" ويلاحظ أن البابا كان يتدخل في شؤون الملوك ورؤساء الحكومات، حتى أن رضى الله تعالى كان يقاس بمدى استمرار البابا في الحكم، ولم يمنع هذا الباباوات القساوسة من ارتكاب المعاصي حتى أصبحوا مثالا للفساد والانحلال الخلقي والبعث عن الدين².

وبالتالي فإن عصر النهضة تميز بسلطتين تحكم في الحكم وهذا يشمل كل الدولة ويخص المواطن وعلاقته بالحكم (الملك)، في حين السلطة الدينية لها علاقة بالسلطة المدنية، فهي تتعلق بأمور أخرى والتي يتولاها البابا، وهذا الأمر كان سائدا في البدايات الأولى ونتج عنه كل الانحلالات اللاأخلاقية والبعث على الوازع الديني.

ومنه يتبين أن عصر النهضة له مجال فكري عميق بما يحتويه من نظام سياسي اقطاعي يميز سمات أساسية سياسية واقتصادية "إذ أن حضارة النهضة وثقافتها اللتان تغزوان الآن أوروبا من التلون بألوان إقليمية كانت قد اتخذت سبيلها في إيطاليا في القرون التي سبقتها وكانت الحماسة لاكتشاف العصر القديم عنصرا هاما من عناصرها، بطابعه الأصيل

¹ إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2001، ص43.
² المرجع نفسه، ص46.

الفكرة والفنون والآدب، لكن الكنيسة ظلت كما في العصر الوسيط (قائمة في صميم الحياة) مسبقة (سيطرة الدين الخفية والكلية على الناس)¹.

كانت حضارة النهضة ذات فكر سياسي لم يكتسب بعد استقلاله التام حيث أصبحت ذات اتجاهات مؤيدة لتقدم السلطة المطلقة، واتجاهات معادية لها والتي سوف يرثها القرن السابع عشر، ومنه "تراث العصر الوسيط تتشدد من حولها الحركة العلمية والفكرية التي بدأت في عصر النهضة، فنلاحظ رجالا مستقلين يعملون على تنمية العلم الجديد، الرياضي منه والطبيعي، فيؤلفون الجمعيات والأكاديميات وينشؤون المجالات لإذاعة بحوثهم والمناقشة فيها"².

ويتضح مما سبق ذكره أن الحركة الفكرية والعلمية هي التي ظهرت في عصر النهضة حيث تعمل على تنمية العلم الجديد وتطويره في مختلف المجالات التي يشرف عليها رجال الأعمال مستقلين فيؤلفون منه جمعيات ومجالات أكاديمية تعمل على تطوير الحركة الفكرية والعلمية وخاصة في مجال السياسة، وترى رجالا آخرين يستحدثون مذاهب فلسفية كانت والأصول التي تسبح عليها الفكرة السياسية الحديثة، ففي إنجلترا يتوطد المذهب الحسي بفضل "فرانسيس بيكون"، و"توماس هوبز" و"جون لوك" ...

كما تميزت هذه المرحلة بتبلور الفكر السياسي، واشتدت تطلعا مع فلاسفة هذا العصر (عصر الأنوار) الذين قاموا بوضع قوانين الطبيعة الإنسانية الفردية منها والاجتماعية وكان هذا بشكل ملحوظ في هذا العصر وخاصة في مجال السياسة والذي شغل فكر العديد من الفلاسفة ورجال الدين والقانون أمثال: توماس هوبز جون لوك، جون جاك روسو، والذين يمثلون فلاسفة العقد الاجتماعي وكل منهم سعى لتحقيق التكامل الذي ساعد تكوين المناخ الفكري حسب قوانينهم وقواعدهم العلمية والفكرية كما أنهم نادوا بتحرر من كل القيود، بالإضافة لقيود الكنيسة التي كانت تبدي سيطرتها في البوادر الأولى قبل ظهور الأنظمة السياسية والديمقراطية في جميع الأمور.

¹ جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة الى عصر الأنوار ترجمة كابي الدواوشة، دار التكوين، ط1، 2010، ص343.

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف (القاهرة مصر)، ط5، 2012، ص50.

الفصل الأول: ماهية الفكر السياسي

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الفكر السياسي

01: الدلالة اللغوية للفكر السياسي

02: الدلالة الفلسفية للفكر السياسي

المبحث الثاني: الارهاصات الممهدة لظهور الفكر السياسي

01: الحضارات الشرقية القديمة (الحضارة الصينية انموذجا)

02: الفكر السياسي اليوناني (أفلاطون - أرسطو)

03: الفكر السياسي في العصر الوسيط

المبحث الثالث: معالم الفكر السياسي قبل جون جاك روسو

01: الفكر السياسي من منظور توماس هوبز

02: الفكر السياسي من منظور جون لوك

استنتاج

الفصل الأول: ماهية الفكر السياسي

تمهيد:

عند البحث في ماهية الفكر السياسي بشكل عام، يظهر للعيان أهمية تحديد مراحل التطور وهذا من خلال ضبط المفاهيم والدلالات اللغوية والاصطلاحية ، وكذا تقسيم مسار تطور الفكر السياسي، هذا الأخير مر عبر ثلاث مراحل أساسية كبرى مهدت لظهوره وتطوره انطلاقاً من مرحلة الفكر السياسي في العصر القديم والذي يمثل مرحلة التأسيس وقاعدة لوضع التصورات الفكرية حول الظواهر السياسية مروراً بمرحلة الفكر السياسي في العصور الوسطى، والتي تميزت باصطدام وصراع الشرعية الدينية والسياسية في أنظمة الحكم خاصة والدولة عامة، وصولاً إلى مرحلة العصر الحديث واستبدال المصدر الديني للشرعية بالمصادر السياسية وتأثير النزعة الاجتماعية على المفكرين السياسيين وكذا الأنظمة السياسية وتحرر العقل البشري من قيود الكنيسة.

المبحث الأول: مفهوم الفكر السياسي

1. الدلالة اللغوية للفكر السياسي:

الفكر في اللغة كما جاء في (لسان العرب) ف ك ر: الفُكْرُ والفُكْرُ: اعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: "ولا يجمعُ الفِكرُ ولا العلمُ ولا النظرُ، قال: وقد حكى أبو دريد في جمعه أفكاراً. والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء أو افكرا فيه وتفكر بمعنى، رجلٌ فكيرٌ، مثال: فسيقٌ وفكيرٌ كثيرُ الفكرِ. الليث التفكرُ اسم التفكير، ومن العرب من يقول: الفكرُ الفكرة، والفكرى على اسم فعلى وهي قليلة. وعند الجوهري التَّفكرُ التأمل، والاسم الفُكْرُ والفكرةُ والمصدر الفُكْرُ بالفتح قال يعقوب: يقال ليس لي في هذا الامر فكرٌ، أي ليس لي فيه حاجة"¹.

وكما عرفه المعجم الوسيط: الفكر: اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة المجهول، ويقال لي في الأمر فكرٌ، نظرٌ ورويةٌ، والفكرة: الصورة الذهنية لأمر ما².

والفكر: هو التأمل واشغال العقل في ماهية الأشياء المعنوية والحية للوصول الى الحقيقة اليقينية³.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن السياسة مصدر للفعل ساسة يسوسُ، وساس الأمر: قام به وسوسه القوم: جعله يسوسهم⁴.

- وجاء في الحديث النبوي الشريف: "كان بنو إسرائيل يسوسهم انبيائهم" أي يتولون أمرهم.

- وتقابل كلمة السياسة في اللغة العربية كلمة بوليتيك "POLITICS" في اللغة الإنجليزية، وكلمة

"POLITIQUE" في اللغة الفرنسية، وكلا المصطلحين مشتقين من اللفظ اللاتيني "POLIS"

بمعنى المدينة أو الناحية أو اجتماع المواطنين⁵.

- ويعرفها الفقهاء: "ما كان الناس أقرب الى الصلاح وأبعد عن الفساد"⁶.

مفردة السياسة في اللغة العربية متأتيا من مصدر(ساسة)، وتطلق على سياسة الرجل لنفسه، ودخله وخرجه، وأهله، وولده، وخدمه، وتطلق أيضا على سياسة لرعيته، وعلى تنظيم أمور الدولة وتدير شؤونها¹.

¹ ابن منظور، لسان العرب حرف الفاء، الجزء 11، دار صادر بيروت، 1405 هـ النسخة 03 ص528.

² ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة مصر، 2008، ص698.

³ قحطان احمد سليمان الحماداني، النظرية السياسية المعاصرة، دار حامد للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2003، ص20.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، الجزء 06، نشر أدب الحوزة، إيران، 1984، ص329.

⁵ ابراهيم ابراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق عمان، 1998، ص37.

⁶ محمد وقيع الله أحمد، مدخل الى الفلسفة السياسية، دار الفكر دمشق، 2010، ص20.

والسياسة كلمة مشتقة من كلمة سيسوا البابلية، ثم تم إطلاقها على ترويض الخيول فجأت منها سائس الخيول، وفي أواخر عهد الجاهلية القريبة من الإسلام بدأت كلمة السياسة تستخدم بمعنى فن الحكم، ويبدو ان مصطلح السياسة ظل يحتفظ بأصله في الجمع بين ترويض الخيول وترويض المجتمعات.²

أما لفظ السياسي فيطلق عادة على من يتولى الحكم في الدولة، ويدل نوعين من الرجال، أحدهم: رجل الدولة الذي يقيم الحكم على العدل والانصاف والثاني: يدل على رجل الحكم الماهر، الذي ينتفع من الظروف المحيطة به، لتحقيق غايته ومأربه السياسية الخاصة.³

2. الدلالة الفلسفية للفكر السياسي:

السياسة تعني بالضرورة وجود الصراع، واتفاق الرأي، وبدون الصراع لا تكون هناك حاجة للسياسة، وبدون اتفاق الرأي المتعلق بالمعايير والإجراءات السياسية، فإن العملية السياسية لا يمكن أن تعمل وتحل محلها طرق أخرى للتواصل الى النتائج ومنها العنف والقصر.⁴

وتدل كلمة السياسة على الحكم والإرادة في الشؤون العامة، ويحمل معنى أوليا هو الاهتمام بشؤون الجماعة وأمر الانتظام العام فيها أيا كانت الجماعة.⁵

والسياسة فن إدارة الدولة ومزاولة السلطة لتحقيق مصالح المجتمع، وحل الخلافات وتحقيق الانسجام بين الحكام والمحكومين وفق قاعدة الحقوق والواجبات، وتحقيق مصلحة الدولة في علاقاتها مع القوى الخارجية.⁶

وعرفها معجم روبرير عام 1962 بقوله: "السياسة فن حكم المجتمعات الإنسانية"⁷.

وتعتبر السياسة من أسمى النشاطات الإنسانية التي من خلالها يمكن تحويل المجتمع نحو الأفضل، وتعزيز وجوده من خلال وجود الفرد، فتتنظم السياسة المجتمع فتحقق وحدته وتدعمها، وتخلق له مؤسسات يقوم بها،

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ج1، 1982، ص679.

² طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة "معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع"، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2010، (ط . 1)، ص: 2013.

³ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص680.

⁴ جيفري روبرت اليستار، المعجم الحديث للتحليل السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999، ط1، ص343.

⁵ اشيتي فارس، مدخل الى العلم بالسياسة، بيسان، بيروت، 2000، ط2، ص109.

⁶ أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص113.

⁷ مولييس دوقرجية، مدخل الى علم السياسة، ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور جمال الاتاسي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ص7.

وتمنحه هيكلية محددة، وتسن له القوانين والقواعد الحقوقية وتطبقها وتطورها وفقا للتبدلات الحاصلة في الزمان والمكان بغية تحقيق الغاية التي تطمح لها¹.

وبذلك يختلف مفهوم الفكر السياسي من مذهب الى آخر لذلك رصدنا مجموعة تعاريف المفاهيم لعلها تكون وافية للوقوف على هذا المصطلح، فنجده يعالج مسائل السياسة من حيث النظرية، وغالبا ما يكون انعكاسا لطبيعة المجتمع، فإذا أردنا ان نصور الفكرة فعلينا ان نلم بتلك المؤثرات وانعكاسها عليه كواقع عملي².

الفكر السياسي هو مجموعة الأفكار والآراء التي صاغها العقل البشري لتفسير الظاهرة السياسية، وعلاقتها بالعالم والمجتمع من حيث قوتها ووجودها ووظائفها وخصائصها والقائمين بها³.

فالفكر السياسي يهتم بتلك الأفكار والمفاهيم التي تبحث في الظواهر السياسية وتحاول التعرف عليها وصفا ودراسة وتحليلا في سبيل تكوين مفهوم محدد عن هذه الظواهر أو تلك ومن ثم الانتقال عبر سلسلة من الارتباطات بظواهر اجتماعية أخرى الى محاولة للتعميم قد تساعد على التنوع⁴.

- ويمكن ان نعرف الفكر السياسي من خلال الزمان الى:

● الفكر السياسي القديم

● الفكر السياسي الوسيط

● الفكر السياسي الحديث

● الفكر السياسي المعاصر

- من خلال المكان والحضارة الى:

● الفكر السياسي الشرقي القديم

● الفكر السياسي الغربي القديم

- ومن خلال المفكر نفسه الى:

● الفكر السياسي عند الفارابي

● الفكر السياسي عند كونفوشيوس

¹ عصام سليمان، مدخل الى علم السياسة دار النضال، بيروت، ط2، 1989، ص109.

² حسن فوزي النجار، الفكر السياسي الحديث، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص4.

³ سعد عبد الوهاب عبد الكريم، الفكر السياسي والنظرية السياسية، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العدد 27، سبتمبر 2016، ص247.

⁴ علي أحمد عبد القادر، مقدمة في النظرية السياسية، مطبعة الكيلاني، مصر القاهرة، 1974، ص 79.

- الفكر السياسي عند جون جاك روسو.
- فالفكر السياسي هو جزء لا يتجزأ من عملية التحليل السياسي للظواهر السياسية اذ يمكن تعريفه على أساس المكان، الزمان، الوصف، الأفكار، المفكر، وبالتالي نجد ان معادلة بناء الفكر السياسي تقوم على الأساس الآتي: فكرة/ ظاهرة × الفرد والسلطة¹

¹ سعد عبد الوهاب عبد الكريم، الفكر السياسي والنظرية السياسية، مرجع سابق، ص 257-258.

المبحث الثاني: الارهاصات الممهدة لظهور الفكر السياسي:

1. الحضارات الشرقية القديمة (الحضارة الصينية كونفوشيوس أنموذجا):

ليس اليونانيون وحدهم من أنتجوا فكرا سياسيا، فمن الحضارة الآسيوية وعموما الشرق مهد الحضارة البشرية انبثق الفكر الإنساني، حيث وجود حضارات قديمة كالحضارة الفرعونية والسومرية والبابلية والحضارة الصينية وغيرها وكذا وجود تنظيمات سياسية لا بد من وجود فكر سياسي مرتبط بها، هذا الفكر السياسي هو الذي كان وراء تطور هذه الحضارات.

يظهر من خلال تتبع تطور الفكر الحضاري الصيني، ان الإبداعات الفلسفية والفكرية العديدة في الصين، قد تجلت واضحة في القرون الثلاثة الأخيرة من سيطرة أسرة "تشو" وقبل انشاء الإمبراطورية الموحدة للصين (أي من القرن السادس الى القرن الثالث قبل الميلاد) ففي هذه الفترة لمع العديد من مفكري الصين وفلاسفتها من أمثال "لاتزو، وكونفوشيوس...." وغيرهم ممن كانوا المئة مدرسة فلسفية وكان محور ابداعاتهم الفكرية يدور أساسا حول الاهتمام بالشؤون العملية للإنسان والمجتمع على حد سواء، فقد اهتم بعضهم بالإنسان الفرد الفلاح البسيط، كما اهتم غيرهم بالطبقة النبيلة بهدف توجيهها ومساعدتها على حسن قيادة السلطة وحكم الشعب، وانصب فكر الكثيرين على كيفية الوصول الى التفاهم بين الطبقات باعتباره أساس التفاهم بين الإنسان وبين الإنسان والطبيعة، يحصل الخير للجميع¹، فالحضارة الصينية عرفت بدورها فكرا سياسيا مهما، وسنتطرق إلى أهم مفكر فيه وهو "كونفوشيوس".*

أ: الكونفوشيوسية والفكر السياسي الصيني:

يمثل الفكر الكونفوشيوسي البعد الثقافي للصين على مدى تاريخها الطويل، ولازال هذا الفكر يؤثر بشكل واضح في الاتجاهات الفكرية المعاصرة في الصين وجنوب شرق آسيا، كما لايزال يؤثر عمليا في حياة الناس اليومية، ومن أشهر رواد هذه المدرسة (مينشيوس، شون تسي وانغ تشونغ، كونفوشيوس، ...)

إذ تمكنت أفكار كونفوشيوس من التغلغل بعمق في الثقافة الصينية، خاصة التركيز على البعد الأخلاقي في إدارة العمل السياسي، ويمكن القول بأن كونفوشيوس هو الفيلسوف الأول المدافع على حقوق الإنسان فكان

¹ د. عمر عبد الحي، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الفرع الثالث، ط1، 1999.

* (كونفوشيوس أو كُنْفُشِيُوس) بالصينية 孔夫子: هو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي. ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى. ولقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايبانية والفيتنامية. ويلقب بنبي الصين.

وارثا ومحددا في نفس الوقت، فمن جهة أخرى تلخيصا نظاميا للأفكار السابقة لعصره، ومن جهة ثانية فتح أفقا جديدة لتطور الثقافة الصينية، التي ازدهرت في عصره الى جدل (المئة مدرسة) في عصر الممالك المتحاربة¹.

ب: أفكار كونفوشيوس السياسية:

عمل "كونفوشيوس" بجد كبير على التجديد، وحاول تلخيص أفكار كل سابقه وتنظيمها وصلها وكذا تقديم الإضافات الفكرية عليها، تلك التي تخص مجتمعه الذي عاصره، وعلى هذا النحو فقد فتح المجال الواسع امام المناقشات الفكرية الجديدة وتأسيس المدارس المذهبية، لكنها كانت جملها تعود إلى أفكاره باعتباره مؤسس العقيدة الكونفوشية.

فقد كتب العديد من الكتب منها "التعليم الأكبر، الأغاني، عقيدة الوسط" وهذا لأجل اعداد جيل من التلاميذ واتباع مثقفين يدافعون عن مبادئه وأفكاره العالية.

إن الحديث عن السياسة عند كونفوشيوس من أصعب المسائل التي تواجه الباحث لأنها دائما تأتي وثيقة الاتصال بالأخلاق والتربية، بشكل يصعب معه التمييز بين ما هو سياسة وما هو أخلاق وما هو تربية، فالحديث عن السياسة إنما هو حديث عن الأخلاق وعن التربية والعكس صحيح، ولعل ذلك يرجع لسببين هما: أن السياسة عند كونفوشيوس مبنية على الأخلاق، والأخلاق لا تتحقق إلا عبر التربية، فكونفوشيوس لا يفصل بين هذه المجالات الثلاثة².

ج: حكومة عند كونفوشيوس:

تعتبر الحكومة عند كونفوشيوس أمرا ضروريا على الاطلاق وتستمر هذه الضرورة المطلقة من إيمانه بضرورة الاجتماع الإنساني، ذلك الذي لا يمكن أن يتحقق بشكل مثالي الا إذا كانت هناك سلطة عليا تنظم العلاقات بين الأفراد المتكونين للمجتمع فضرورة النظام تأتي من ذات الانسان، لا تتحقق إلا في المجتمع الإنساني³.

وإذا ترك للإنسان الحرية التامة في حياته دون سلطة عليا تحكمه وتوجه مؤثراته ورغباته أدى هذا إلى تحويل المجتمع إلى مجتمع غابي فوضوي، فالمجتمع يقوم على طاعة الأبناء آبائهم والزوجة زوجها، فإذا ذهب

¹ أسعد عبد الوهاب عبد الكريم، الفكر السياسي والنظرية السياسية (دراسة مقارنة)، كلية العلوم السياسية جامعة الكويت، 2017، ص80.

² هالة أبو الفتوح، فلسفة الاخلاق والسياسة (المدنية الفاضلة عن كونفوشيوس)، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، عيدة غريب، ط1، 2000، ص135

³ مرجع نفسه ص 135

هذه الطاعة حلت محلها الفوضى¹، ولما كان القضاء على الفوضى أمراً ضرورياً أصبح وجود نظام للحكم أمراً ضرورياً لخلق أكبر قدر من الاستقرار للأفراد....

فالحكومة التي لا قطاع لها ليست حكومة، ولا يعني ذلك أن يمثل جوهر الحكومة ولكنه تأمين ضد فشلها فقد كان تأكيد "كونفوشيوس" على ضرورة الحكومة نابعة من خلال تأكيده على سلطة الزوج داخل الأسرة، باعتبار الأسرة صورة مصغرة للمجتمع وبهذا الصدد يقول: "إن الإنسان الذي تتصف شخصيته بالصلاح عندما يقوم بدور الابن، وبالطاعة كشاب، فمن النادر أن تنحرف شخصيته لتنتهك أوامر رؤسائه، ولا يتعلم الفرد داخل الأسرة الفضائل الذاتية فحسب، بل يحصل على القيم الاجتماعية التي تحكم علاقته بالآخرين، فالدولة في أساسها مشروع تعاوني وليس عمل من أجل منفعة الحكام."²

والحاكم يجب أن يتحلى بأخلاق هي عماد الحكم الصالح ولهذا للحاكم التزامات تتمثل في:

- يتحلى بكل ما سيق بيانه من أخلاق الافراد العاديين.

- ان يحترم الأفراد الجديرين باحترامه.

- أن يتودد الى من تربطه بهم صلة القرية وأن يقوم بالتزاماته ازانهم كاملة.

- أن يجل وزراء ولايته او إمبراطورتيه.

- أن يعامل موظفي دولته بالحسنى.

- أن يعمل على تشجيع الحرف والصناعة والفنون والهنوز بها.

- ان يهتم برفاهية أمراء الإمبراطورية³.

وقد رأى كونفوشيوس أن الحاكم إذا عمل على تحقيق هذه النقاط بشكل دائم ومستمر طيلة فترة حكمه، ودون الاخلال بدقة تنفيذها فإنه سوف يترتب على ذلك نتائج جيدة أهمها:

- سعادة ورفاهية كل من يقطنون إمبراطورتيه، عندما يوجه الحاكم انتباهه الى تنظيم سلوكه سيترتب عليه

احترام القانون الأخلاقي (وعندما يقوم الرجال المهوبين فإنه لن يحدع وعندما يود افراد اسرته لن يتولد

الكره في الاسرة. وعندما يحترم الوزراء فإنه لن يفعل الخطأ وعندما يشارك موظفي الدولة سعادتهم ستنتشر

¹ ول واريل ديورانت، قصة الحضارة الشرق الأقصى الصيني ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع من الجزء الاول، دار جيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص60.

² هالة أبو الفتوح، فلسفة الاخلاق والسياسة (المدنية الفاضلة عن كونفوشيوس)، مرجع سابق، ص137.

³ المرجع نفسه، ص145.

روح الولاء والإخلاص في المقاطعة وعندما يصبح أبا للشعب فإن الجزء الأعظم من الشعب سيفعل ما في وسعه لصالح الدولة... وعندما يهتم بسعادة الأمراء فإنه يوحى بالرهبة والاحترام لسلطته داخل العالم¹.

د: مبادئ الحكم عند كونفوشيوس:

إن مبادئ نظام الحكم الحقيقية عنده هي مبادئ الأخلاق، فالسياسة والأخلاق في فلسفة كونفوشيوس ومدرسته ليس الا شيء واحد يستهدف تحقيق عرض واحد، وهو إقامة نظام اجتماعي مستقر، لذلك يمكن لنا أن نحدد المبادئ الأخلاقية السياسية عند كونفوشيوس في ثلاثة مبادئ رئيسية:

- **القدوة الحسنة:** وهي المبدأ الأول الأساسي الذي تنتظم به الأمور داخل الإمبراطورية كلها بناء على تحفقه وفاعليته، وتتجسد أهمية هذا المبدأ في كون النموذج الأخلاقي للحاكم من المؤكد ان تتم محاكاته من جانب الرعية، كون رجل الدولة يسعى دائما نحو تحقيق أفضل المستويات الأخلاقية لشعبه حتى يخلق منها قدر المستطاع مواطنين صالحين، ويعمل على غرس أسمى الفضائل الأخلاقية، ليس فقط بالتربية الأخلاقية، وإنما عن طريق جعل ذاته مثلا أعلى، ونموذجا يقتدى به، من جانب العامة والخاصة، وبذلك يضمن تصريف شؤون البلاد على نحو فاضل. عندما يعمل الحاكم كنموذج للابن والابن والابن فإن الشعب سوف يقتدي به².

- **قانون الفضيلة:** لقد أعلى كونفوشيوس من شأن الفضيلة، اعتمادا من انها الطريق الوحيد الذي يمكن للحاكم من خلاله أن يكتسب احترام الشعب وطاعته دون اللجوء الى القمع، وهذا المبدأ على النقيض تماما مع نظرية الحكم القائمة على القانون، (الرجل الفاضل قادر على اصلاح الشعب، وهو قادر على ارباهم دون اظهار الغضب، وهو وحده القادر على تحقيق السلام والنظام للعالم³، وهنا تظهر أهمية الفضيلة في حكم الدولة).

- **نظرية تقويم الأسماء:** ويعد هذا المبدأ أساس تقويم السلطة القائمة، بل عن اختلافه يقود المجتمع الى فوضى عارمة، لقد لاحظ كونفوشيوس ان أساس الفوضى السياسية والاجتماعية والأخلاقية السائدة في عصره ترجع في أحد جوانبها الى الفساد الذي أصاب النظام الإقطاعي لتشو، ويعد من اهم أسبابه عملية اغتصاب الألقاب او عدم تحقيق الانسجام المركزي⁴، وبذلك فإن ما يحقق الانسجام الاجتماعي

¹ هالة أبو الفتوح، فلسفة الاخلاق والسياسة (المدنية الفاضلة عن كونفوشيوس)، مرجع سابق، ص ص 141-142

² المرجع نفسه، ص 157.

³ المرجع نفسه، ص 159.

⁴ المرجع نفسه، ص 163.

ليس فقط سيادة القانون التبادلية في العلاقة بين الحاكم والرعية، ولكن ما يضمن استقرار الدولة على نحو أفضل يكمن في نظريته المتعلقة بالكلمة ومدلولها، أي اتساق الاسم والمسمى وحتمية القيام بالدور الاجتماعي.

هـ: الحكومة الصالحة عند كونفوشيوس:

السعادة عند "كونفوشيوس"، هدف الانسان وأمله المرغى ولهذا يعرف الحكومة الصالحة بأنها التي تكفل السعادة للشعب كون السعادة هي غاية كل فرد وكل مجتمع يعيش في اطار دولة، فالنظام الأمثل هو الذي يعمل جاهدا على تحقيق هذه الغاية في نظره، فالحكومة أمر ضروري لدى كونفوشيوس، من خلال ايمانه بضرورة الاجتماع الإنساني فضرورة النظام تأتي من ذات الانسان التي لا تتحقق الا في المجتمع الانساني¹، فاذا صلح الانسان صلحت الاسرة وبصلاحهما يصلح المجتمع تلقائيا ففساد النظام والإدارة ليس مرده فساد الحكام فقط، بل أيضا فساد الانسان المادي والاسرة²، فالمجتمع مبني في أساسه على الطاعة فاذا هذه الأخيرة فقدت حلت الفوضى والخراب.

فمفهوم الطاعة الذي أقره "كونفوشيوس" في تعاليمه جعله مثلا داخل العلاقات الإنسانية التي تربط بين الأفراد، وهكذا ففضيلة الطاعة تتعدى حد الأسرة لتشمل كل العلاقات الاجتماعية والسياسية وبهذا يعتبر كونفوشيوس الاسرة ماهي الا صورة مصغرة عن المجتمع.

فدور الحكومة عنده ليس مقتصرًا في تحقيق الاستقرار وتنظيم العلاقات بل يتعدى الى لاستقرار السياسي والاقتصادي والأمن القومي وصولًا الى مبدا الثقة في السلطة وهذا ما أكد على أهمية دور الحكام، عن طريق النظام الأخلاقي الموجهة للحكام والأفراد معا كما أشد على ضرورة تربية الأفراد تربية عامة وشاملة من خلال نشر التعليم العام، لأنه يساهم في تطوير الانسان ويبنى قيمته الخلقية الفاضلة³.

ومنه يقول "كونفوشيوس": "من جعل الأخلاق أساس للحكم صار كمثل نجم قطبي يثبت بالنور مكانه، وتهيم في مداره افلاك من الكواكب السيارة"⁴.

¹ هالة أبو الفتوح، فلسفة الاخلاق والسياسة (المدنية الفاضلة عن كونفوشيوس)، مرجع سابق، ص135.

² عمر عبد الحميد، الفكر السياسي الصيني القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص183.

³ صلاح الدين بسويبي، كونفوشيوس، رائد الفكر الانساني (د ط الاسكندرية، مكتبة الإسكندرية)، د س، ص182.

⁴ كونفوشيوس، المحاورات، ترجمة محسن سيد فرحاني، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2000، ص21.

وللحكومة الصالحة أيضا حاكم صالح نيته فعل الخير، حيث قال "كونفوشيوس" في هذا الصدد: "عندما سأله كي كانج عن الحكومة ما قولك في قتل من لا مبدأ لهم ولا ضمير لغير أصحاب المبادئ والضمان؟ فأجابه "كونفوشيوس": " وما حجتك يا سيدي الى القتل في قيامك بأعباء الحكم؟ لتكن نيتك الصريحة فعل الخير يكن الناس أختيار¹ .

ولكن ما يمكن قوله في الأخير ان كونفوشيوس وفي تأكيده على ضرورة قيام الحكومة الصالحة أذكر في المقابل على الدولة حق التحكم المطلق في ولاءات مواطنيها، فالإنسان يحتفظ بمسؤوليته الخاصة في أن يحكم على الدولة، وأن يحدد لنفسه متى تستحق هذه الدولة خدماته.

2: الفكر السياسي اليوناني (أفلاطون، أرسطو):

كان للفلسفة اليونانية دورا بارزا في تاريخ الفكر الفلسفي عامة والفكر السياسي والحقوقي خاصة، فقد أرست تلك الفلسفة الأساسي لمقاربة الطبيعية والمجتمع مقارنة نظرية على الأقل، وبالتالي نقلت الفكر من النظرة العالمية الميثولوجيا القائمة على التأمل الخيالي للواقع وعلى بعض التصورات الرامية الى الفهم العقلي للوجود وتفسيره، حيث انطلقت الفلسفة اليونانية من مبدأ الحاجة إلى المعرفة تاركة وراءها العقائد الدينية لآلهة الميثولوجيا، كان فلاسفة ومفكري اليونان أول من طرحوا قضايا أساسية تتعلق بالدولة والقانون والسياسة، حيث ربطت العلاقة بين الفرد والدولة التي هي الطاعة المطلقة للقانون، لقد قدمت تلك الفلسفة بعض الحلول لمشكلات سياسية ثقافية اجتماعية واقتصادية ساهمت في الكثير من التطور المستقبلي للفكر السياسي الذي مازالت نتائجه مسموعة لحد الآن.

أ. الفكر السياسي عند أفلاطون:

يعتبر "أفلاطون" (427 ق م-347 ق م) من أهم المفكرين في تاريخ الحضارة الغربية، وهو يتصل بقراءة للمشروع سولون من ناحية أمه، وكلمة أفلاطون تعني: "ذا الكتيفين العريضين" أما اسمه الحقيقي فهو أرسطو كليس ARISTOCLES، حيث تأثر بأستاذه سقراط SOCRATES الذي جعله فيما بعد أساس محاوراته الفلسفية².

عاصر افلاطون الصراعات والثورات الداخلية والخارجية التي كانت بلاد اليونان مسرحا لها، كما عاصر أنظمة حكم عدد من المستبدين، وعلى هذا الأساس سعى أفلاطون نحو البحث عن بيئة يجسد فيها أفكاره، فقد

¹ ويل دوزيت، قصة الحضارة الشرق الأقصى الصيني، مرجع سابق، ص 63

² رأفت عبد العزيز البوهبي وآخرون، أصول التربية المعاصرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر كفر الشيخ دسوق، ط1، 2017، ص ص 173 179.

اقتنع بان العلم والمعرفة لا يمكن فصلهما عن أي نظام سياسي عادل، وكان معروفا عن افلاطون أنه لم يكن معجبا بالديمقراطية التي قامت في آتينا حيث كان لا يثق بها.

كما يمكن التطرق إلى أفكار أفلاطون السياسية من خلال ثلاث كتب رئيسية:

- الجمهورية REPUBLIC (الجمهورية الفاضلة) MORALIST REPUBLIC.
- رجل الدولة.
- القوانين¹.

لاشك في الأهمية الكبيرة لمكانة أفلاطون في تاريخ الفكر عامة والسياسي خاصة إذ تشير معظم محاوراته بصورة مباشرة، كثيرة او قليلة إلى المسألة السياسية، يطرح أفلاطون عن طريق أستاذه سقراط مشكلته السياسية بصورة واضحة وهذا في محاوره الجمهورية متسائلا عن طبيعة العدالة وماهيتها مع عدد كبير من المتحاورين، وهذه تعكس الظروف السياسية التي حدثت فيها المحادثة، فهي تشير بشكل واضح إلى حقيقة من الانحطاط السياسي لمدينة آتينا في نظرية أفلاطون السياسية نجد إشارات واضحة الى الإصلاح المرجو من الخطة السياسية كونه يرى أن الإصلاح الممكن هو إصلاح الإنسان الفرد قبل كل شيء.

فقد ألف "أفلاطون" كتاب الجمهورية في شبابه وتناول فيه الفرد الصالح والحياة الصالحة التي يجب أن تكون في دولة صالحة، ودرس ماهية الخير وسبيل الحصول عليه، كما تناول النشاط الفردي والجماعي، وعلم الأخلاق والاقتصاد والفلسفة، وتبرز الفكرة الأساسية في الجمهورية في أن الفضيلة هي المعرفة، والمعرفة الحقة هي المثل وهو ما جعل هذه الرؤية تصبح السياسة عند أفلاطون هي العدالة في المدينة، كما أن الفضيلة هي العدالة في الفرد².

أسس "أفلاطون" نظريته الأخلاقية على الطرح القائل بأن كل البشر يرغبون في السعادة: فهذه الأخيرة حسب أفلاطون هي النتيجة الطبيعية لحالة الروح المتمتعة بالصحة وبمأن اكتساب الفضائل الأخلاقية ينتج عنها صحة الروح على الأفراد أن يكونوا فاضلين، ولقد أكد أفلاطون ان النفس تنقسم إلى ثلاثة أجزاء:

- الذهن MIND

- الإرادة WILL

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1990، ص ص 81-83.

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 117.

- الشهوة DESIRE

وقد شبه المجتمع المثالي بالنفس والذي ينقسم حسب رأيه الى ثلاث طبقات:

- الملوك (الفلاسفة)

- الحراس (الجنود)

- المواطنون العاديون (مزارعون، حرفيون)¹.

وبذلك أوجد "افلاطون" العلاقة المتعدية في هذه الدولة الفاضلة من خلال سيطرة الملوك (الفلاسفة) على المواطنين العاديين بواسطة الجنود.

• يعتبر الموضوع الأساس في محاوره الجمهورية هو العدالة حيث تفصح على جانب مهم وهو الشكل الاجتماعي والتقسيم الطبقي للمجتمع اليوناني أولاً كما تتجه الى تحديد معضلة اجتماعية وثقافية مهمة وهي النزاع السياسي بين الأحزاب المتصارعة، الهادفة كلا منها الوصول الى السلطة هنا ينطلق أفلاطون في معنى العدالة ويطرح ماهي العدالة؟، شكل سقراط كيفالوس اعتبرها بانها ليست أكثر ولا أقل من صديق المقال وردد للغير أم نقول ان الفعل الواحد يحسب في بعض الأحوال عدلا وفي بعضها تعديا... أعني أن كل إنسان يسلم انه إذا استعار من صديقه أسلحة خطيرة وصديقه سليم العقل فليس من العدالة ان ترددها له وقد أصيب في عقله وصار وجودها في يده خطرا على حياته، كيفالوس: أصبت². من خلال هذا التعريف يقدم "أفلاطون" معاني أخرى للعدالة ويتجه نحو تحديد الرجل العادل خلال علاقته بالأشخاص الآخرين وكيفية تعاملهم معه وذلك عن طريق القانون الذي يمكن معرفته بصورة واضحة من حيث المبدأ وذلك عن طريق الاستماع المحض. فالشخص العادل ما يعرف منفعة أصدقائه كما يحاول ان يقدم لهم ما فيه خيرهم لان العدالة تتضمن معرفة نظام أعلى، كما يلاحظ افلاطون أن الحكومة المثالية لا بد أن تقوم على أساس من الامتياز الفكري او العدالة الفكرية وليس على أساس من الثروة والجاه، فالعدالة في ظل هذه الحكومة لا يطبق مبدأ المساواة المطلقة بين الافراد، بل يفصل بينهم بحسب قدراتهم ويتم توزيع الحقوق على المواطنين على أساس هذا المبدأ دون غيره³.

¹ يوسف ابو الحجاج، افلاطون مؤسس الفلسفة الغربية، دار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، مصر القاهرة، ط1، 2018، ص16.

² أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص 432.

³ مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مكتبة أنجلو المصرية، 1979، ص46.

انطلق مفهوم الجمهورية الفاضلة على مبدأ صارم في تقسيم العمل، سواء على صعيد المقدرات الخاصة بكل فرد، أم ضمن نشاط الطبقات الثلاث الكبرى:

- معرفي بين مقدرات فكرية مندرجة في الطبيعة
- اجتماعي بشأن تموضع الطبقات الثلاثة في المجتمع
- سياسي بشأن ممارسة السلطة، أين يوكل الحكم للفلاسفة¹.

من خلال هذه الطبقات تشير إلى أن العدالة يمكن أن تسود الدولة في ظل حكم الفلاسفة، الذي ربط الدولة والعدالة بوجود حكام حكماء لأن: إرادة المدينة أهم الأعمال التي يقوم بها هؤلاء الحكام، يلزم ان يتفرغوا لها ويعيروها انتباهها وحكمة فأقين. اغلو كون: هكذا رأي تماما².

فالدولة في رأي "أفلاطون" هي مكان للناس العادلين، لأن العادل يجب أن يساعد من هو عادل وليس أصدقاؤه وبهذا المفهوم تكون العدالة هي منفعة الدولة وحب الخير لصالح الدولة والعادلون هم المواطنون الحقيقيون الذين يتمتعون بأعلى درجات الوطنية فالعدالة تكريس لمنفعة هؤلاء الناس وهي لا تكون ببساطة مفيدة الا عندما تكون القوانين في مصحة الجميع، وهذه لا تكون الا في مدينة فاضلة، ولعل هذا هو السبب الذي دفع أفلاطون لتصور دولة مثالية وجمهورية حقيقية عادلة، اذ نرى أفلاطون على لسان أستاذه سقراط يعالج هذه المسألة معالجة فلسفية وفي محاول الإجابة عن تحقيق العدالة يجيب سقراط بأن الإجابة عليها تكمن في كل جزء من أجزاء المدينة وذلك انطلاقا من أجزاء النفس الإنسانية التي تؤدي كل واحدة عملها المناسب لها، اذا فالعدالة تكمن في كل جزء يؤدي عمله جيدا ولأن الجزء الأسمى هو العقل فإن عمل باقي الأجزاء مرتبط بهذا الجزء من النفس ولهذا فالواجب أن تكون السيادة دائما للقون العاقلة وان تكون الشجاعة في خدمة القوة العاقلة وان تكون الشهوات عارفة لحدودها خاضعة للأوامر التي تصدر اليها من العقل³.

فالعدالة أفصحت عن ذاتها بوصفها مشكلة أساسية من مشكلات المجتمع اليوناني وهذا من خلال محاوره السياسي والتي سلطت الضوء على الزمن الذي كانت فيه الآلهة تحكم البشر.

¹ فيليب كوركوف، كبار المفكرين في السياسة، مصارات نقدية في الفلسفة السياسية، ترجمة على نجيب ابراهيم، دار الكتاب العرب، لبنان بيروت، 2014، ص ص 20-21.

² أفلاطون، الجمهورية، مرجع سابق، ص 65.

³ عبد الرحمن بدوي، أفلاطون عند العرب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1944، ص 266.

كما يعتبر كتاب القوانين أحد الكتب السياسية والذي عبر فيه عن أفكاره السياسية أكثر واقعية، وقد اعترف أفلاطون بوجود سيادة القانون أي انه أعاد الاعتبار للقوانين الدستورية والتي هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الاثينية ونقطة التحول في فكر أفلاطون السياسي هي قناعته بخضوع الحاكم للفيلسوف والمحكومين على حد سواء للقانون والدستور.

فقد تناول في كتابه (القوانين) عدة مفاهيم أهمها الدستور، التشريع، كما اقترح تنظيم المجتمع على أساس الملكية وتراجع عن فكرة تكوين الاسرة، كما رتب أنظمة الحكم المختلفة حسب الأفضلية على النحو الآتي:

- أ- الحكومة الأرستوقراطية: هي حكومة الفرد الفاضل، حيث لا يكون بحاجة إلى قوانين تقيده، فضيلته وحكمته تجعلانه يتخذ القرار الصائب ويقمع دوما الفساد.
- ب- الحكومة التيموقراطية: هي الحكومة الأقلية العسكرية التي تصل الى الحكم بواسطة قوتها، ونتيجة فساد الحكومة الارستوقراطية، وهي مظهر لانحلال الدولة المثالية.
- ت- الحكومة الاولغارشية: وهي حكومة الأقلية الغنية مقابل الأغلبية الفقيرة وتنشأ في ظل اتساع الهوة بين الطرفين، وكنتيجة لفساد الأقلية العسكرية.
- ث- الحكومة الديمقراطية: هي حكومة الشعب التي تتحقق بانتشار الحرية والمساواة في المجتمع، وتحقيق لرغبة الأغلبية الفقيرة المتضررة من فساد حكومة الأقلية الغنية.
- ج- حكومة الاستبداد (الطغيان): تنشأ هذه الحكومة عند فساد الديمقراطية وانتشار الفوضى في المجتمع، الشيء الذي يدفع بالفرد للاستلاء على القيم والانفراد به، وانشاء حكومة الفرد الطاغية، حيث اللا أمن واللا استقرار¹.

¹ عبد الجليل كاظم الولي، قرارات جديدة في قضايا فلسفية، مكتبة أنجلو المصرية، مصر القاهرة، ط1، 2010، ص ص162-163.

ب . الفكر السياسي عند أرسطو :

تمهيد:

يعتبر الفيلسوف "ارسطو" ARISTO (384ق م-322ق م) أو ما يسمى أرسطو طاليس بمعنى محب الحكمة أو تام الفضيلة¹. وهو من أكبر فلاسفة اليونان شملت اهتماماته شتى المجالات الفلسفية والمعرفية ومن بينها الفلسفة السياسية أو كما يعتبر الشخصية الفلسفية الأكثر حضوراً في تاريخ الفكر السياسي القديم خاصة في عصر الإغريق إذ يمثل الفكر السياسي الأرسطي استمراراً للفكر السياسي الأفلاطوني، ليس في محاوره القوانين فحسب، بل منذ محاوره الجمهورية على اعتبار ان الفكر السياسي اليوناني بشكل عام، حول في هذه المرحلة التعامل مع الوقائع السياسية لمنطق تعديلي، أي البحث عن تغيير البيئة السياسية والاجتماعية، نحو نموذج أحسن للتنظيم السياسي.

إذ يلتقي الفكر السياسي لكل من ارسطو وافلاطون في اطاره الاجتماعي لممارسة العمل السياسي والمتمثل في دولة المدينة دون غيرها، فالمدينة ليست نظام سياسي فحسب بل هي الخاصية المميزة للشعوب اليونانية المتحضرة عن بقية الشعوب البربرية، كما يعتبر ارسطو معلم الاسكندر الأكبر*، فقد ابتكر منطقاً وتفكيراً فلسفياً استمر لقرون، كما كان مفكراً موسوعياً لدرجة وصفه بالمعلم الأول، ولقد استقطب في حياته وبعد مماته كثيراً من الاتباع والمؤيدين، وظلت أفكاره محل تأييد أو تعقيب أو اعتراض من فلاسفة العصر الوسيط من المسلمين والمسيحيين، وكانت منطلقاً لإثارة الأفكار العقلانية في عصر النهضة والعصر الحديث وحين كان يدرس في زمنه كان يلقي دروسه أثناء المشي والتجوال مع تلاميذه ولذا أطلق عليه وعلى تلاميذه، مصطلح المشائين وعرفته الفلسفة بـ المشائية Péripatétisme².

فلقد قام "أرسطو" بتحليل الدساتير اليونانية والتعرف على أنظمة الحكم قبل ان يبدي رأيه في المسائل السياسية، معتمداً بذلك على المنطق، وساعد اعتماده على المنطق واختلاطه بمثالية أستاذه افلاطون على دراسة

¹ عادل بن صالح صمهود، منطق أرسطو وموقف الفلاسفة المنتسبين للإسلام والمتكلمين منهم، مقال على شبكة الانترنت منشور بتاريخ: 2024/03/09، متوفر على الرابط الإلكتروني: <http://google/eordya>.

* كان الإسكندر الأكبر حاكماً مقدونيا قديماً، وأحد أعظم العقول العسكرية على مر التاريخ، هو الذي أنشأ -كمملك مقدونيا وبلاد فارس- أكبر إمبراطورية شهدها العالم القديم على الإطلاق والتي عرفت باسم الامبراطورية المقدونية، حيث امتدت هذه الامبراطورية من سواحل البحر الأيوني غرباً وصولاً إلى سلسلة جبال الهيمالايا شرقاً. أنظر: أسعد الطنبور، الاسكندر الكبير المقدوني في سطور، (الأردن عمان دار أمجد للنشر والتوزيع، ط01 2015).

² عاد بن صالح صمهود، مرجع سابق.

واقع الدويلات الإغريقية بشكل أكثر تعمقا، حيث درس في أكاديمية أستاذه وكان يقول: "أحب الحق وأحب أفلاطون، واثرت الحق على أفلاطون"¹.

السعادة الإنسانية: إن البحث على السعادة أهم ما شغل "أرسطو" خاصة واليونانيون عامة فالبحث عنها هو المطلب الأسمى للإنسان وخيره الأعلى وغايته². ولذلك كانت السعادة هي المبحث الأخلاقي الذي شغل فكر أرسطو وكما يرى أيضا أن السعادة هي الغاية القصوى للحياة، وتطلب لذاتها لا من أجل شيء غيرها، فسعادة الفرد بمزاولة ما يمتاز به عنما سواه والمتمثل في الحياة الناطقة، كون القاعدة لديه تقول: "إن الكائن لا يحقق غايته وبالتالي سعاده إلا بأدائه لوظيفته الخاصة به على أحسن وجه وسعادة النفس الناطقة في أدائها لوظيفتها".

كما يرتبط مفهوم الفضيلة عند "أرسطو" بمفهوم الوسط العدل بين رذيلتين احدهما افراط والأخرى تفريط³.

وما دامت السعادة عند "أرسطو" ليست طبيعية في النفوس وإنما تكتسب بفضل الاستعداد على ذلك فإنه يصبح من دور الدولة تحقيق متطلبات هذا الأمر، بواسطة تنشئة الافراد بواسطة التربية والتوجيه، فغاية الدولة تحقيق الخير الأعلى الذي هو غاية الأفراد يقول: "كل دولة هي بالبديهة اجتماع، وكل اجتماع لا يتألف إلا بالخير، ما دام الناس أي ما كانوا لا يعملون أبدا شيء إلا وهم يقصدون إلى ما يظهر لهم انه خير، فكل الاجتماعات ترمي إلى خير نوع ما، وإن اهم الخيرات كلها يجب أن يكون موضوع أهم الاجتماعات ذلك الذي يشمل الآخر كلها، وهذا هو الذي يسمى بالضبط الدولة أو الاجتماع السياسي"⁴.

ج: الدولة وتحقيق الكمال الإنساني:

انطلق "أرسطو" في دراسته للدولة من فكرة أنها من حيث هي جماعة بشرية، فهي نظام طبيعي، وليست صناعة إنسانية كما يراها السفسطائيون فالدولة إذا طبيعية⁵. وهي بذلك الحاضنة التي يجد فيها الفرد حاجاته، حيث لا يمكن للفرد ان يكتفي بنفسه بمعزل عن الكل او المجموع، ومن هنا تأتي أسبقية الدولة على الفرد اذ يرتبط وجوده بها، دون أن ترتبط هي به⁶.

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص133.

² محمد عبد الرحمن مرجيا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص204.

³ المرجع نفسه، ص208.

⁴ اسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للتوزيع والنشر، القاهرة، ط1، 2001، ص ص 75-76.

⁵ المرجع نفسه، ص 74.

⁶ أرسطو، السياسات نقله من الأصل اليوناني وعلق عليه الأب اغسطين، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية بيروت، ط1، 1957، ص180.

فوظيفة الدولة الأساسية حسبها هي تحقيق الفضيلة والعدل للفرد واللدان هما الغاية الأسمى للدولة، فالدولة فضلا عنما توفره لأفرادها من تلبية حاجاتهم المادية والمعيشية فغنها توفر لهم السعادة والفضيلة والتين هما المقصد الأساسي من وجودها، حيث يقول "أرسطو" في هذا الصدد: "الجماعة السياسية موضوعها ليس المعيشة المادية لأفرادها فحسب بل سعادتهم وفضيلتهم"¹. وبالتالي تمثل الدولة نتاجا لتطور تاريخي كونها مرت بمراحل اجتماعية قبل ان تصل الى مرحلة الدولة، والضمان الوحيد للحكم الصالح في الدولة هو القانون، ولقد كان ارسطو يرى في مفهوم الدولة المثالية انها الأكثر فاعلية والمثل الأعلى هي الدولة التي تمكن الدستور من انتاج أثره². ووفق هذا المنطق لا يؤمن ارسطو ولا يثق بالحكم المطلق، مهما كانت صفات الحاكم ولو كان فيلسوفا.

فالحكومة المثلى عند ارسطو هي الشكل الذي يجمع بين العناصر الصالحة في كل من أنواع الحكومات المختلفة ولكن دون تطرق لكل منهما (الديمقراطية، والأوليغارشية) وهي تتجسد في دولة المدينة، ذات المساحة والتعداد السكاني المحدودين، على غرار ما عرفته في زمانه بلاد الإغريق³. اذ تكمن انطلاقة أرسطو للدولة المثالية من معيار السعادة فهي التي تحقق هذا المبدأ السامي، فيكون صلاحها بصلاحيات دستورها او نظامها السياسي - حيث يجعلهما أرسطو مترادفين - وأما حديثه عن تحديد طبيعة الدولة المثلى فيأتي حديثه عن الدولة في الواقع، ووفق تعريفات "أرسطو" فالدساتير والحكومات متنوعة جدا، ولكن بالنسبة له معيار عام يتكون من عنصرين أساسيين يميز بهما بين هذه الدول:

- **عدد الحكام:** بمعنى تتحدد طبيعة الدولة حسب عدد الحكام إما فرد او قلى أو مجموعة كبيرة متكونة من مجموعة مواطنين
- **البحث عن المصلحة العامة:** أي يجب التمييز عن الأنظمة الصالحة من الفاسدة أو الناقصة ويكون المعيار في هذا التمييز هو مراعاة المصلحة العامة بالنسبة للأنظمة الصحيحة والدساتير الصحيحة هذا يعني الدساتير التي تبحث فيها الحكومات عن تحقيق المصلحة العامة - الدساتير الناقصة - والتي تتصف بممارسة السلطة من اجل تحقيق مصالح مجموعة صغيرة⁴.

¹ اسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 52.

² أبو اليزيد على المقيت، تطور الفكر السياسي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، 1970، ص31.

³ د. عبد الكريم بلبل، مدخل الى الفلسفة، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر، عمان، ط1، 2018، ص82.

⁴ صلاح علي نيوف، مدخل الى الفكر السياسي الغربي (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية القانون والعلوم السياسية الأكاديمية العربية بالدنمارك، ص42.

ومن هنا صنف "أرسطو" الحكومات الى ثلاثة أنواع: حكومة الفرد، حكومة الأقلية، حكومة الأكثرية، كما ركز على مسألة الفصل بين السلطات في مجمل أبحاثه، ومن خلال هذا الفصل تمكن من التمييز بين الحكومات الصالحة والفسادة.

ج-1 الحكومات الصالحة في نظر أرسطو: وتمثل في:

- حكومة الفرد.

- الحكومة الأرستقراطية.

- الحكومة الديمقراطية.

ج-2 الحكومات الغير الصالحة في نظر أرسطو: وتمثل في:

- الحكومة الاستبدادية.

- الحكومة الأوليغارشية.

- الحكومة الديماغوجية (الحكومة الغوغاء)¹.

فقد فضل "أرسطو" الحكومة الديمقراطية القائمة على الدستور وذلك بما يلي:

- القوانين في خدمة العامة والدستور يحمي المصالح العامة

- الدستور هي المنهج للعمل لكل حكومة.

- حكم القانون يشعر الأفراد بالارتياح النفسي بين ارسطو ذلك في كتابه "السياسة":

أن القانون هو السيد في الدولة، وان الحكومات خادمة له، وتسفر عنه².

فالديمقراطية في حد ذاتها أحد أشكال الحكم الصالح حسب نظر أرسطو لكنه اعتبرها شكلا صالحا من الحكم. فان كان عمل الحكومة موجه لخدمة الخير العام فهذا لا يسمى ديمقراطية وانما يطلق عليه بوليتيا politoia بمعنى الحكم الدستوري.

¹ د. عبد الكريم بلبل، مدخل الى الفلسفة، مرجع سابق، ص ص 81-82.

² أحمد فرحات، في ضرورة العودة الى فن السياسة، مجلة العربي الجديد، 27 فيفري 2024، <https://www.alaraby.co.uk>

مما سبق نستنتج أن "أرسطو" يعتبر بحق نقلة نوعية كبيرة في تاريخ الفلسفة السياسية والفكر السياسي إذ نقل هذه الفلسفة من مثالياتها التي وضعها استاذة "أفلاطون" الى مجال الواقعية، والتي أعطت لهذا الفكر القدرة على الاستمرار بل التطور وكانت مقدمة لجملة من الفلسفات نھجة نفس المنهج الواقعي الأرسطي.

3: الفكر السياسي في العصر الوسيط (الفكر السياسي الإسلامي والفكر السياسي المسيحي).

أ-الفكر السياسي الإسلامي:

منذ القدم حاول الإسلام كدين أن يرسم شكل السلطة والمجتمع بصورة متكاملة محققا الصلاح للمجتمع والفرد في نفس الوقت، وعلى خلاف الديانات الأخرى السابقة قدم الإسلام تشريعات شاملة لجميع أمور المجتمع سواء فيما تعلق بتنظيم السلطة داخل هذا المجتمع أو فيما يتعلق بعلاقة الدولة الإسلامية، بالدول الأخرى وتنظيم شؤون الحرب والسلام على سواء.

وقد اتسم الإسلام بسعة شمولية تغطي جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا لمجتمع معين ولكن للمجتمعات الإنسانية كافة.

ومع هذا فإن القرآن الكريم المصدر الأساسي للإسلام وللفكر السياسي الإسلامي وكذا السنة النبوية الشريفة إلا أنهما لم يتعرضا إلى تفاصيل الدولة الإسلامية وأساليب الحكم فيها، وإنما اقتصرتا على تحديد الأسس الثابتة والمبادئ العامة التي يسترشد بها في هذا المجال، وهنا تكمن عظمة الإسلام كدين يصلح لكل زمان ومكان، حيث ترك الباب مفتوحا، لتطور الأفكار والأنظمة السياسية والفكر السياسي عموما كما يتلاءم مع طبيعة العصر والمكان المعين، مع ضرورة الالتزام بالمبادئ والأحكام العامة التي وضعها في هذا المجال.

وبعد توسع الدولة الإسلامية وتعانقها مع الحضارات الأخرى وتطور طبيعة المجتمع - المجتمع الإسلامي - وحدوده ظهرت الحاجة الملحة لوجود مفكرين وفقهاء مسلمين لمعالجة الأوضاع المستجدة في الدولة الإسلامية ومحاولة تأصيلات فكرية منظورة في هذا المجال، فظهرت فئة من الفقهاء وعلماء الدين الذين أولوا سياسة الحكم الإسلامي نصيبا من رأيهم واجتهاداتهم وفتاويهم أمثال: ابن حزم الأندلسي والماوردي في كتابه ((الأحكام السلطانية)) الذي تعرض فيه لدراسة ظاهرة الخلافة، ومؤخرا ظهر أبو حنيفة كأحد الفقهاء الذين تعرضوا لظاهرة السلطة بالتحليل والانتقاد وبيان العلاقة بين الدين والسياسة.

وإلى جانب هؤلاء ظهرت مجموعة من الفلاسفة المسلمين الذين درسوا الفلسفة اليونانية وتأثروا بها وقدموا نظريات فلسفية متكاملة للسلطة والدولة المثالية كونهم تأثروا بالفكر السياسي اليوناني ومن هؤلاء المفكرين ابن رشد واخوان الصفا وابن خلدون في كتابه المقدمة هذا بالإضافة الى مجموعة من الأدباء والكتاب الذين تعرضوا لظاهرة السلطة في كتاباتهم الأدبية مثل ابن المقفع في كتابه ((كليلة ودمنة)) والجاحظ....، وكما يعتبر المفكر الفارابي في كتابه ((أراء أهل المدينة الفاضلة)) وتطرقة لشأن الدولة ووظيفتها من خلال النظرية العقدية وكونه من الفلاسفة الذين اطلعوا على الفكر السياسي اليوناني بصفة عامة وفكر كل من أفلاطون وأرسطو بصفة خاصة. حتى لقب بالمعلم الثاني عند العرب.

أ-1: العوامل التي أدت بالفارابي إلى وضع تصور عام للدولة الفاضلة:

إن الأفكار السياسية تعتبر نتاجا لتفاعل عقل المفكر أو الفيلسوف السياسي مع مجتمعه ومن ثم فإنها غالبا ما تعكس لنا صورة هذا المجتمع في فترات نموه وازدهاره أو مرحلة سياسية عصبية في عاصمة الخلافة ببغداد والتي كانت تنبؤ بشتى الصور المأسوية المؤلمة ذات العنف الديني والعنصري، المصحوبة بصور من القتل السياسي، فقد ذهب ضحيتها مجموعة من الناس من ضمنهم الخلفاء أنفسهم، ومن كانت تنازعهم رغبات الحكم والانتقام من الوزراء والقواد، فكان احدهم لا يتورع عن سفك الدماء جهارا والاستلاء على أموال رعيته باسم الدين والسلطان مما دفعهم الى قتل بعضهم البعض هذا ما جعل الفارابي يتخيل المدينة الفاضلة الداخلية وأخرى خارجية.

فقد سلك الفارابي مسلك "أفلاطون" و"القديس أوغسطين" وغيرهما من الفلاسفة الذين استهوتهم النظرة الطوبائية، وهم في هذا الاتجاه إنما يعكسون الشعور المرير الذي انتهى اليه الواقع الاجتماعي في عصورهم من انحطاط وتأخر وفساد، ولهذا من خلال نظريتهم الفلسفية وافكارهم السياسية يخططون لتحقيق المدن الفاضلة والتي تتحقق من خلال آمالهم¹.

وقد عاش "الفارابي" في نهاية القرن الثالث الهجري حيث ضعفت الدولة العباسية وأخذت في التفكك، ومن ثم زالت هيبتها من نفوس شعوبها عندما تسلط الأتراك والنساء على ملوكها من صاروا ألعوبة بأيديهم، اذ كان جلوس الخليفة على عرشه مرهون برضى القادة الأتراك عليه.

أ-1-1: المدينة الفاضلة:

¹ معمر جلول حدة، المواطنة في الفكر السياسي من التراث الى الفكر المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، اشراف: عبد الحكيم صائم الموسم 21/20، ص 115.

إن المدينة هي أول الدرجات في الاجتماع الكامل حيث وضع "الفارابي" تقسيمات لأنواع الاجتماع لكي يصل الى الوقوف طويلا عند مجتمع المدينة، وهو مدار البحث في الفكر والفلسفة السياسية عند "الفارابي" كون مجتمع المدينة كان هو الصورة المثلى للاجتماع البشري عند اليونان نظرا لعدم تجانس الشعوب في الدول الكبيرة والامبراطوريات القديمة.

أ-1-3: فكرة الدولة:

انطلاقا من كتابة (آراء أهل المدينة الفاضلة) ومن خلال تمييز "الفارابي" لأنواع الاجتماعات وأن المدينة هي أول مراتب الكمال والاجتماعات البشرية وأول درجات الخير، وإن هذا الاجتماع على صورته التي ذكرها هو اجتماع مثالي ولكنه متعذر التحقيق.

والمدينة هي الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة، صلحت صلح المجتمع وفسدت فسد المجتمع هو الآخر، فالخير الأفضل والكمال الأقصى إنما ينال أولا بالمدينة، لا بالاجتماع الذي هو أنقص منها، وهنا الإشادة بعبقرية "الفارابي" الذي أطلق على مدينته لفظ (الفاضلة) إذ أن المعنى في اللغة: التي اتصفت بالفضلة، فَضَّلَ الشيء تميز، والفضل من النقص، والفضيلة، هي الدرجة الرفيعة في الفضل¹.

يقول المولى عز وجل ((وَنُفِّصِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ)) (الرعد الآية 04).

ف "الفارابي" من أول وهلة يلفت الانتباه الى أن مدينته، مدينة متميزة مكتملة الأركان، إذ فهو يجعل الأخلاق مقدمة لحياة سياسية رشيدة، تقوم على أساسها المدينة بما يعني أن السياسة تهتم بأسس ومبادئ الأخلاق، وتحاول تطبيقها وقرارها في المجتمع على قدر الامكان، وحين يتحدث الفارابي على السياسة نجده يعرفها بأنها ((تشتمل على معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم)).

الامكان: وحين يتحدث الفارابي على السياسة نجده يعرفها بأنها ((تشتمل على معرفة الامور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم))².

¹ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج11، 1414هـ، ص524.
² أبو نصر الفارابي، التنبيه على سبيل السعادة تقدم وتحقيق البير نصري نادر، دار الشرق، بيروت لبنان، ط1، 1976، ص22

أ-1-4: صفات الرئيس في المدينة الفاضلة:

ركز الفارابي على عنصر أساسي يتمثل في شخص الحاكم، هي ما كان يعيشه الحاكم من دمار وفوضى وخراب، حيث رأى أن علة المجتمع تكمن في الحاكم الذي يحكمه، فإذا كان هذا الأخير صالحا صلح المجتمع ووصلحت أمور الدولة التي يرأسها، وذلك أحوال المواطنين الخاضعين لحكمه، وإذا فسدت فسد أولا الحكم وفسدت أمور الناس واضطرب جبل الأمن وعظم الجهل والاضطهاد¹.

فالرئاسة في نظر الفارابي إنما تكون شيئين الفطرة والطبع والثاني بالهيئة والحمة والإرادة، ولا يكون معدا للرئاسة إلا إذا اجتمعت الخصال العشرة:

- تام الأعضاء
- جيد الفهم والتصور
- جيد الحفظ
- جيد الفطنة
- حسن العبارة، يواتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة
- أن يكون محببا للتعليم والاستفادة
- أن يكون غير شره على المأكل والمشرب
- أن يكون كبير النفس، محبا للكرامة
- أن يكون زاهدا
- أن يكون عادلا مبغضا للجور والظلم

¹ معمر جلول حدة، مرجع سابق، ص 119

ب: الفكر السياسي المسيحي:

في القرن التاسع عشر ميلادي قال الملك الإنجليزي الفريد العظيم " إن الله خلق العالم على شكل مثلث، ضلع يحم وضلع يصلي، وضلع يخدم الضلعين الآخرين"¹ فالضلع الحاكم والمصلي يتمثل في الأمراء ورجال الدين لهما السيادة وهما الضلعان القائمان، أما الضلع الأفقي والأدنى فهو العامة والمتمثل في الفلاحين الذين يخدمون الآخرين ومن هنا اقترن الاعتقاد المسيحي بتصورات المفكرين ورائهم السياسية بشأن السلطة والحكم والدولة وكذا مفاهيم الولاء والخضوع، وكل القيم التي أحلها لها الإيمان المسيحي وتأتي في مقدمتها عقيدة الشعور بالدنيا والرغبة في التفكير عنه، التي لازمت رجال الدين والمؤمنين المسيحيين على حد سواء، حيث استحوذت على المسيحية فكرة تأصيل الاثم في الطبيعة الإنسانية، فالخطيئة حسب هذا التصور هي نتاج الوجود الجسماني، وأن ألم الانسان هو العقاب المستحق عن خطايا فعلية مرتكبة أو حتى مجرد ما يمنحها الخطيئة الذي ينجم عن النوازع الجسدية، فإن كل ما يجيا في تناغم مع قانون الطبيعة سيقى متحررا من نوازع الجسدية، وسيكون في حالة خلاص، وهو الخلاص الذي يتحقق بالفضيلة².

لقد جرى تغليف الفكر السياسي المسيحي بغلاف اللاهوت، وتم تجريد العقل من كل قدرة على الانطلاق المستقل عن الرؤية الدينية المسيحية، ولهذا يمكن ملاحظة كيف طغى التفسير الديني على أعمال المفكرين المسيحيين في القرون الوسطى، وظهر المفكرون السياسيون في خدمة الديانة المسيحية والكنيسة ورجال الدين، والتحول الذي سيصاحب بدايات عصر النهضة، سيواكب رغبة التحرر من هذه القيود، والانطلاق بالفكر السياسي نحو اعمال العقل وفصل السياسية عن الدين، ولعل من أشهر هؤلاء المفكرين نجد: القديس أوغستين-توما الإكويني.

ب-1: معالم الفكر السياسي عند توما الإكويني: Saint-Thomas Aquines

عاش القديس "توماس الإكويني" ما بين (1225-1274م) أي في نهاية العصور الوسطى، ويعتبر من أشهر الفلاسفة السياسيين في العصور الوسطى، وقد حاول الجمع بين النظرية السياسية القديمة مثل نظريات أرسطو وشيشرون وبين النظريات المسيحية التي تستمد أصولها مما جاء في الإنجيل وكتابات القديسين الأوائل.

¹ هميداني سليم، الفكر السياسي في العصور الوسطى، مطبوعة بيداغوجية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2016/2017، ص 70

² جوهري بالخنافي، أثر الفلسفة الرواقية في الفكر السياسي المسيحي، توما الإكويني أنموذجا، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 9، ديسمبر 2019، ص ص

ب-1-1: نظرتة للدولة ونظام الحكم:

يرى "توماس الإكوييني" أن الدولة هي هيئة موحدة التنظيم بأفرادها مثلها الجيش، وأن النظام الطبيعي مرتب بشكل تصاعدي يمتد بدرجات من الإله في القمة ويتدرج الى أسفل القاعدة التي تكون أدنى المخلوقات. وإذا كان النظام في الجماعات الحيوانية كالنمل والنحل يصدر عن الغريزة فإن النظام في الجماعات الإنسانية يصدر عن العقل والإرادة ومن ثم فهو يقوم على ضرب التعاقد الواعي.¹

وقال "توماس الايكوييني" بأن الهدف الأخلاقي للحكومة المتمثل في اسعاد الناس وتحقيق السلام وحفظ النظام يتوجب أن تكون السلطة محدودة، وأن الحكم أمانة في عنق الجماعة والحاكم معذور في كل ما يعله لأنه يستمد سلطته من الله ويساهم في الخير العام، ولذل فهو يدعو الى احتمال الحاكم المستبد، ويرفض الفوضى عليه لان ذلك يسبب الفوضى في المجتمع. وكما أن قناعته بأن الحكومات واجبا خلقيا يجب أن تؤديه في حق رعاياها حتى تيسر لهم حياة قومية، فكان يجهر بالتحذير من مغبة الجور على الحقوق المشرعة للرعايا، في حقهم في الحياة والتعليم والعقيدة والتناسل، ويرى أن الأرستقراطية أكثر حكمة من الديمقراطية، وأن حكومة الفاضل خير من الأرستقراطية، وأكثر مطابقة للطبيعة، لأن الطبيعة تشكلت بصورة تجعل لكل نشأ مبدأ واحد، فالجسم تديره النفس والأسرة يديرها الأب، والعالم يديره الله، كذلك فإن الدولة يجب أن يديرها فرد واحد.²

فالمجتمع يقوم على تقسيم العمل وتبادل الخدمات والتعاون بغية الوصول إلى الحياة الصالحة والعدالة ومهمة الحاكم لهذا النظام تشبه مهمة العقل في توجيه الجسد وادارته، فالكنيسة لا تنافس الدولة بل تكملها والدولة خير. ووظيفتها ليست محصورة في حفظ النظام وتحقيق السلام فحسب بل في توحيد الأفراد نحو الاعمال الفاضلة وتعويدهم عليها، فالحاكم السياسي يرسى الأساس لسعادة البشر، وهو جزء من اختصاص الكنيسة، فيسهم الحكم في تحقيق الهدف الأسمى للإنسان وتساعد الدولة الكنيسة في أداء مهمتها، وتهيئة الظروف لتوجيه الافراد نحو غايتهم الروحية، التي لا يستطيع الانسان أن يصل إليها إلا بتوجيه رجال الدين.³ وهنا يكمن دور الكهنة لخلاص النفس البشرية إذ أن رسالتهم قيادة الانسان الى حياة خيرة فيما هذا العالم والانسان يخضع في هذه الشؤون للسلطة الروحية قبل الزمنية لأن هدفه الأسمى السعادة في الحياة الابوية لا نجد الحياة الفانية.

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة فاروس للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 163.

² فارس النداف، الفكر السياسي المسيحي ومفهوم الدولة عند توما الايكوييني، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (39)، العدد 3، 2007، صص 193، 200.

³ جان جال شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة الى الدولة القومية، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1993،

- يذهب "توما الاكوييني" الى ضرورة أن يتم انتخاب الحاكم، وأن يعاون هذا الحاكم مجلس ارستقراطي ينتخبه الشعب ووظائف الدولة عنده تنحصر في أمور أربعة:
- تحقيق الأمن والطمأنينة في الحياة وتأمين الأفراد من الجوع والأخطار.
 - تحقيق النظام وضمان العدالة بواسطة التشريعات القانونية.
 - ترويح الحد الأدنى من الأخلاق بمساعدة الكنيسة، التي تعمل أساساً على الحفاظ على الحياة الأخلاقية.
 - حماية الدين، وفي حماية الدولة للدين محافظة على الاستقرار ومساعدة الكنيسة.
- فالدولة في نظر "توما الإكوييني" عرضة للخطر الخارجي، لذا وجب عليها الاستعداد للحرب، وهو استعداد يرتبط بالوظيفة الجوهرية لها، إلا أن "الإكوييني" يشترط أن تكون الحرب عادلة، ويضع لعدالتها ثلاث شروط¹:

01- أن تعلنها السلطة الشرعية وتباشرها بنفسها.

02- أن تعلنها لسبب عادل أي لدفع الظلم.

03- أن تمضي فيها بنية صادقة، ويعزم ثابت....

تابع "توما الإكوييني" "أرسطو" متابعة تامة في الكثير من أفكاره السياسية وهاجم شيوعية النساء والمال والتي نادى بها من افلاطون ونادى بضرورة تكوين الاسرة وضرورة التملك، ورأى أن الدولة اجتماع سياسي وطبيعي من حيث أن الانسان حيوان اجتماعي، ولهذا يوصف القديس توما أنه كان أرسطو العصور الوسطى، ما اقام فكرة السياسية وفلسفته السياسية على عبارة أرسطو القائلة: " بأن الانسان حيوان اجتماعي، فالإنسان لا يوجد بدون مجتمع، ومتى وجد المجتمع وجد الحاكم ووجد القانون، والحاكم هو المسؤول عن جعل القانون الوضعي مساير للقانون الطبيعي، والتشريع هو جعل القانون الطبيعي يلائم المكان والزمان الذي يستمد القانون الوضعي منه.²

وللقانون عند "توما الإكوييني" أربع أنواع وهي:

1- القانون الأزلي: Eternal law

¹ فاروق سعد، الفكر السياسي قبل الأمير وبعده، دار الجبل ودار الأفق الجديدة، بيروت، ط24، 1999، ص206.

² فاروق سعد، الفكر السياسي قبل الأمير وبعده، مرجع سابق، ص 237

2-القانون الطبيعي: Natural Law

3-القانون الإلهي Divine Law

4-القانون الإنساني: Human Law¹

حيث يعتبر القانون الأزلي في نظر توما يطابق التدبير الإلهي للعالم، أو هو القانون الذي يحكم به الله العالم، أما القانون الطبيعي فهو بمثابة انعكاس للحكمة الإلهية على المخلوقات، ومعنى هذا أن القانون الطبيعي هو القانون الذي يحكم به العقل أو النفس الفاضلة والتي تتأثر بالقانون الأزلي حيث يقول توما في هذا الصدد من العسير ان نثور على ما يتأتى به الأخطاء، لأن خصومنا من المسلمين والوثنيين لا يدينون معنا بسلطة الكتاب المقدس، فلا نستطيع أن ندحض به مزاعمهم كما ندحض مزاعم اليهود حيث نحتكم الى التوراة، أو ندحض افتراءات الزنادقة حيث نحتكم الى الانجيل، فلا منا من لنا إذا من الاحتكام الى القانون الطبيعي الذي سلم به الجميع².

ويرى "توما الإكويني" ان القانون الإلهي أو القانون المقدس، هو المتمثل في الشرائع والأحكام، التي كانت عن طريق الوحي أو التبليغ كالشريعة الخاصة التي انزلها الله على اليهود. ولما كان من المتعذر تطبيق الأنواع السابقة للقانون الثلاثة منه على بني البشر تطبيقا كلياً وعلمياً، فلقد قام القانون الإنساني الذي وضع خصيصاً ليلائم الجنس البشري وهو قانون انساني خالص، وهنا يرى القديس "توما الإكويني" ان طاعة القانون واجبة طالما كان عادلاً، أما القانون الظالم فلا تجوز له الطاعة بأي حال من الأحوال. كما لا يجوز للحام ان يضع يده على الملكيات الخاصة الا بالقدر الذي تطلبه المصلحة العامة، او ان يلب الافراد حريتهم التي هي حقوقهم الطبيعية، وإذا فعل يكون متمرداً، ويكون على الشعب مفاوضته وتنحيته، فمقاومة الاستبداد ليست حقاً فحسب وانما تصير في هذه الأوضاع واجبا³.

¹ فارس النداق، الفكر السياسي المسيحي ومفهوم الدولة عند توما الاكويني، مرجع سابق، ص 193

² حسن فوزي النجار، الفكر السياسي الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1967، ص 11

³ فاروق سعد، تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده، مرجع سابق، ص 237-238

المبحث الثالث: معالم الفكر السياسي قبل جون جاك روسو

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل المتميزة في تاريخها العام التي ساعدت على ظهور الفكر السياسي الحديث الذي عرف تطورا ملحوظا من قبل العديد من الفلاسفة في تلك الفترة، فظهرت بذلك عدة نظريات وأفكار سياسية لهؤلاء المفكرين احتلت مكانة بارزة في تحقيق النظام السياسي الذي كان له دورا هاما في إضفاء المشروعية على حياة الأفراد السياسية بتطبيق مجموعة من القواعد على الشعب من أجل ضمان العدل والمساواة بين أفراد المجتمع وتحقيق رفاهية الدولة وأمانها.

01: الفكر السياسي من منظور توماس هوبز: Thomas Hobbes (1558-1679م):

لقد استمرت النظريات الأخلاقية والسياسية المناهضة للدين ولسيطرة الكنيسة واتسعت وتنوعت مواقفها، وربما كان من أبرزها آراء "توماس هوبز" الذي كان أول فيلسوف سياسي في العصر الحديث يقف في وجه التراث السياسي القديم ويرفضه رفضا باتا، وفي المقابل يقوم بإعادة إحيائه نشره من جديد، وعليه كيف نظر إلى السياسة وما الجديد الذي أضافه للفكر السياسي؟

ذهب "هوبز" إلى أنّ الإنسان بطبعته شرير فهو ذئب لأخيه الإنسان وهذه الطبيعة الإنسانية الشريرة تعيق انسجام الإنسان مع الآخرين وتجعله في حرب دائمة معهم أي حرب الكل ضد الكل والجهاد حتى الموت، حيث عم الفساد والشر وأصبح الإنسان يجب الفائدة لنفسه فقط حتى لو كان على حساب غيره.

ومن هنا فإنّ الطبيعة في رأي "هوبز" قد جعلت الناس متساوين وفي الواقع يوجد اختلافات في القوة الجسدية والفكرية بين البشر لكن هذا لا يبرر اللامساواة الدائمة، فالضعيف هو دائما لديه القوة الكافية من أجل قتل القوي والاختلافات الجسدية يمكن أن تصبح لا قيمة لها، أما بالنسبة للاختلافات العقلية فهي وهمية لحد كبير (...)، والمساواة نفسها تسمح لكل واحد بالاعتقاد أنّه يستطيع هزيمة الآخر أو أن يكون مهزوما من قبله، فهي إذن لا تحدث الألفة أو الود بل تحدث الشك أو الريبة وبفعل هذه الريبة فإنه لتصرف عقلائي للإنسان ألا ينتظر أن يهاجمه الآخر بل يأخذ المبادرة ويجعله غير قادر على مضايقته المحتملة.⁽¹⁾

¹ صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، (ج. 1)، الأكاديمية العربية، الدانمارك، (د. ط)، (د. ت)، ص: 75.

فكل إنسان في حالة الطبيعة لا تحركه سوى الاعتبارات الذاتية المتعلقة بأمنه وقوته مؤكداً أن البشر ليس لهم أي أهمية إلا بقدر ما يمس سلامتهم، وعليه فإن الإنسان مساو للآخرين من حيث الوسائل العامة لأنه يملك القدرة على منافستهم، فعلى سبيل المثال إذا تعلق الأمر بالقوة الجسمية نلاحظ أن أضعف إنسان يمتلك منها ما يكفي من أجل قتل الأكثر قوة سواء عن طريق الخديعة أو الاتحاد مع الغير الذين يهددهم نفس الخطر، وبذلك فهي مساواة في الكفاءة من شأنها أن تدفع بكل واحد إلى أن يكافح من أجل تحطيم الآخر وقهره.⁽¹⁾

من خلال هذا الطرح يتبين بوضوح أنه ليس هناك فرق شاسع بين الإنسان والآخرين يمنعهم من ابتغاء مصالح وفوائد في وسع الشخص الواحد أن يلتمسها، وفيما يخص قوة الجسد فإنّ الضعيف من الناس قادر على قتل أشدهم قوة بالاستعانة بالاحتتيال والمكر أو بالتحالف مع الآخرين الواقعين تحت ذات المشكل.

يرى "هوبز" أنّ الحالة الطبيعية التي كان يعيشها الإنسان والمملوءة بالصراعات والحروب والفوضى، والاضطراب والتشوش والانزعاج هي التي مهدت السبيل للإنسان لينتقل من الحالة الطبيعية إلى حياة مدنية أساسها قيام الدولة التي تنظم حياة الأفراد من خلال قوانينها وبالتالي تحقيق الاستقرار والسلام والهدوء الذي كان غير موجود في الحالة الأولى.

كما أنّ الإنسان يحركه عاملان هما الرغبة والكرهية لأنه يرغب دائماً في طلب مصادر القوة والثروة والمجد كارها كل ما يكدر حياته ويسبب له الشقاء والبؤس، لذلك كانت القوة مطلب دائم متجدد لبني الإنسان حيث يسعى إلى اكتساب المزيد منها عن طريق حفظ الذات وتحقيق الأمن والسلم لأن أي درجة من درجات الأمن تتطلب مزيداً من تحقيقه، وهكذا كان طلب المزيد من القوة هو حاجسه المؤرق الذي يمنعه من الراحة ويوجه حركته لأنه الضمان الوحيد لتأمين حياته من الاعتداءات المتوقعة بل الواجب وقوعها من أفراد المجتمع.⁽²⁾

بمأنّ الإنسان كان يعيش حالة طبيعية مليئة بالحروب، الصراع، العنف ومادام طموح الناس هو أن يعيشوا حياة سعيدة فقد كان همهم الوحيد تجاوز حالة الصراع والفوضى، والبحث عن مخرج يساعدهم على التخلص من هذه الفتن، فما كان عليهم إلا أن يقوموا بإنشاء عقد بينهم أطلق عليه هوبز تسمية العقد الاجتماعي.

¹ امام عبد الفتاح امام، الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، د ط، ص: 270.

² محمد وقيع الله أحمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، (ط. 1)، 2010م، ص: 150 . 151.

اعتبر "هوبز" نظرية العقد الاجتماعي عنصر أساسي في تكوين العلاقات الاجتماعية داعيا الأفراد إلى التعاون والاجتماع لمصلحة الكل تحت قيادة وسلطة سياسية، وبالتالي تنازلهم عن حرياتهم الطبيعية لصالح رجل واحد أو مجلسا يطلع بمهمة تدبير شؤونهم، وهذه السلطة العليا تتجاوز كونها مجرد موافقة أو إجماع بين الإرادات الفردية بل اتحاد تذوب فيه الذوات الفردية في ذات شخصية واحدة معنوية يتنازل لها الأفراد عن حقوقهم لتسوس شؤونهم وقت السلم والحرب،⁽¹⁾ وهذا ما افترضه "هوبز" على النحو التالي: "إن كل فرد تنازل عن حقوقه الطبيعية المطلقة للحاكم، والتنازل عن حق مطلق لا يكون إلا تنازلا كلياً ومطلقاً أيضاً لأنه بغير هذا التنازل الكلي ستستمر الحروب والمصادمات بين الأفراد إذا احتفظوا بأجزاء من حقوقهم وحرياتهم، وتكون نتيجة ذلك عدم تغير وضع الجماعة السابق على التعاقد ومن ثمة فإنّ العقد الاجتماعي يفقد قيمته لعدم تحقق الهدف المنشود من ورائه." ⁽²⁾

وبالتالي فإنّ الحل هنا لتفادي هذه الفتن يتمثل في تخلي متزامن وكلي في آن واحد بشرط أن يضمن كل واحد الوفاء بعهدده، ويعهد كل الناس بكل سلطتهم إلى رجل أو جمعية مخضعين له حكمهم وإرادتهم، ومن المفترض أن يقول كل واحد أنّه تخلى عن حقه لهذا الرجل في حكم نفسه بنفسه لأنّ تولد الدولة يقوم على اتفاق يتنازل فيه كل مواطن عن حقه في الدفاع عن نفسه حيال السيد الأعلى، أمّا هذا الأخير فلا يعطي من جهته أي وعد لكنه مع ذلك يضمن توحيد وضمّان استقرار الأفراد والمحافظة على حقوقهم حتى عن طريق القوة التي تعد أمر أساسي في الدولة.⁽³⁾

نلاحظ أنّ نظرية العقد الاجتماعي لها منزلة كبيرة عند "هوبز" فهي من أهم النظريات التي ساعدت على تخطي الطبيعة الإنسانية الشريرة وما تحمله من شرور وفتن، وذلك من خلال اتفاق الأشخاص حول إنسان واحد يحكمهم ويتولى أمورهم فيتنازلون له عن حقوقهم في مقابل توحيدهم وضمّان استقرارهم والمحافظة على هذه الحقوق ورعايتها، حتى لا يقع التمرد بل على العكس تتحقق المساواة في ظل السيطرة والقوة التي يفرضها الحاكم على الشعب ضمن العقد الاجتماعي على أساس أنّهم قصّر لا يعرفون مصلحةهم الخاصة.

¹ منتديات ملك روجي: الفكر الفلسفي السياسي عند توماس هوبز، قسم الفلسفة والعلوم النفسية الإنسانية، 29/05/2009م.

² محمد كامل ليلة: النظم السياسية "الدولة والحكومة"، مرجع سابق، ص: 479.

³ بيير فرانسوا موروا: هوبز فلسفة علم دين، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (ط. 1)، 1993م، ص: 8.9.

02: الفكر السياسي من منظور جون لوك (John Locke) (1632-1704)*

يعد "جون لوك" واحد من أبرز المفكرين في العصر الحديث ليس فقط بالنظر إلى إسهامه الكبير في وضع نظرية حول أهمية المعرفة الحسية في بلوغ الحقيقة والارتقاء بالفهم البشري، بل أيضا لما قدمه من أفكار سياسية كانت لها دور هام في تطوير الفكر السياسي عنده في ظل تلك الخلافات المذهبية والطائفية التي تعيشها إنجلترا، فما هي إذن أفكاره السياسية وكيف ساهمت في تقدم الفكر السياسي، وما السبيل الذي رسمه للحد من طغيان وتعصب المذاهب الدينية؟

على الرغم من أنّ فكرة الحق الإلهي للملوك قد سادت في العصور الوسطى إلا أنّها تلقت ضربات عنيفة على يد المفكرين السياسيين خصوصا المفكر السياسي "جون لوك"، حيث قام بنقد هذه النظرية خاصة في الرسالة الأولى من كتابه رسالتان عن الحكم المدني، وتفنيد كل الحجج التي دافعت عنها وأقرت المبدأ الخطير الذي يعطي للملك الحق في حكم رعاياه حكما مطلقا استبداديا دون أن يكون لأي فرد من أفراد الشعب الحق في معارضته أو الثورة عليه، وطالما أنّ الملك كان مفوضا من قبل الله لحكم الشعب كان على هذا الأخير إطاعة أوامر الملك وأحكامه؛ فالملك من حيث هو مفوض تفويضا إلهيا له الحق في إصدار التشريعات التي يراها صالحة وبالتالي فهو كما يقال في مصر القديمة "عليم بكل شيء ولا تخفى عليه خافية، وليس هناك شيء في هذه الدنيا لا يعلمه وما من معرفة إلا بها." (1)

أحس "لوك" أن مهمته الأولى هو دحض هذه الأفكار فاعتقد أن العلاقة بين الملك ورعاياه لا تشبه مجال العلاقة بين الأب وأبنائه لأنّ علاقة الأب بأسرته هي علاقة أخلاقية في المقام الأول؛ فهو مسؤول أخلاقيا عن تربية أبنائه وغرس القيم فيهم، أما علاقة الملك بالرعايا هي علاقة سياسية أساسا، وتتوقف على قيام الملك بمجموعة من الواجبات الخاصة التي تحددها القوانين في الدولة من بينها: الإشراف على مصالح الناس ومنافعهم، وضمان ممارستهم لحقوقهم الطبيعية: حق الحياة، حق الملكية، المساواة والحرية، فإن عجز عن ذلك وانحرف عن تأدية مهمته جاز لهم عزله وتنصيب شخص آخر يحل محله يكون قادر على القيام بواجباته السياسية. (2)

* جون لوك: فيلسوف بريطاني عاش ما بين (1632 . 1704) ذو نزعة تجريبية، اهتم بدراسة الطب والاقتصاد والسياسة، كتب جملة من المؤلفات تمثل فصحا تعليميا مبدأ الحرية منها: التسامح، مقالة في العقل البشري، رسالتان في الحكومة المدنية.

¹ إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة " دراسة في فلسفة الحكم "، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د. ط)، 2002م، ص 284.

² المرجع نفسه، ص 286.

في حين أن الأبناء في الأسرة ليس لهم الحق ولا في استطاعتهم عزل الأب وإحلال شخص آخر محله، كذلك أنّ الأخلاق تفرض احترام الأب و طاعته، ومن هنا كان عصيانه أو التمرد عليه عقوقاً تاباه القيم الأخلاقية، وليست الحالة نفسها بالنسبة لرعايا الملك الذين دخلوا معه في تعاقد فإن لم يلتزم بالعقد كان من حقه التمرد عليه وعزله؛ ذلك أنّ الأخلاق تفرض حتى على الملك نفسه احترام والديه لكن ليس لهذين الوالدين التدخل في شؤون الدولة وأمور السياسة وليساً لهما أن يفرضاً على الملك رأياً مجرداً أنهما والداه،⁽¹⁾ بل إنّ واجب الحاكم المدني تطبيق القوانين دون استثناء لتوفير الضمانات التي تسمح لكل الناس على وجه العموم ولكل فرد خاصة بالامتلاك العادل للأشياء الدنيوية، أما إذا حاول أحد أن ينتهك قوانين العدل والمساواة التي تأسست من أجل الحفاظ على هذه الأشياء فإنّ مثل هذا المغامر يجب أن يمنعه الخوف من العقاب الذي هو عبارة عن الحرمان من الخيرات التي من حقه أن يتمتع بها.⁽²⁾

إنه لجدير بالذكر أن نقول إن النظرية السياسية التي كانت موجودة في عصر جون لوك والتي أطلق عليها تسمية نظرية الحق الإلهي للملوك قد تعرضت لنقد شديد من قبله، لأنها تسعى إلى تثبيت السلطة المطلقة للحاكم وتعطي الحق للملوك في التصرف بما يظلم الرعية، وبالتالي نجده رد على توماس هوبس ورأى أنّ الحكم المطلق والمستبد يتسبب في الحروب والفتن وما دعم الكنيسة ورجال الدين لهذا الحكم إلا لضمان سلطتهم ونفوذهم، داعياً بذلك إلى حكم ديمقراطي قائم على الحرية.

تصور "جون لوك" الحالة الطبيعية للإنسان بصورة مختلفة تماماً عما جاء به "توماس هوبز" حيث عرفها بأنها حالة المخلوقات التي لم تكن قد عرفت بعد المجتمع المدني حتى في شكله الأول، وفي ظل هذه الحالة يكون الناس أحراراً متساوين ويحملون في أعماقهم نور العقل الذي يسمح لهم في تلمس القانون الطبيعي وفي مطابقة سلوكهم مع متطلباته، فهي التي تقود الإنسان إلى تصور وضع يسود فيه السلام التام والحرية التامة وكذلك المساواة، ولتأكيد ذلك يقول في كتابه الحكومة المدنية: " فالجميع متساوون مستقلون وليس لأحد أن يسيء إلى أخيه في حياته أو صحته أو حريته أو ممتلكاته، فالناس جميعاً عاملون في هذا الكون الذي صنعه الخالق وأتى بهم إلى خضمه لأنه شاء ذلك أتى بهم لكي يعملوا من أجله، فهو مالكمم الذي يوجههم كيف شاء ورائدهم فيما

¹ إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة " دراسة في فلسفة الحكم "، مرجع سابق، ص 286.

² جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنه، المجلس الأعلى للثقافة، (ط 1)، 1997، ص 24.

يفعلون ابتغاء مرضاته، ومن أجل هذا يجتمعون ويتقاسمون ما تمنحه لهم الطبيعة لذا تختفي مظاهر التبعية التي تدفع بعضهم إلى الرغبة في السيطرة على الآخرين والإضرار بهم ولا يبقى في القلوب سوى حب الخير.⁽¹⁾

فالحالة الطبيعية هي حالة الحرية الكاملة التي تمكنهم من اتخاذ قراراتهم وتحديد سلوكياتهم وأفعالهم واستخدام ممتلكاتهم كما يشاؤون في حدود قانون الطبيعة الذي يمليه العقل من غير حاجة إلى استئذان أي شخص آخر أو الاعتماد عليه في ذلك،⁽²⁾ يعني أن العقل الطبيعي له دور كبير في توجيه الأفراد إلى الطريق السوي دون مخالفتهم للقانون أو إيذاء وانتهاك حقوق بعضهم البعض كي يتحقق الأمن والسلام في الدولة، لأنه " إذا اعتدى الإنسان على أخيه الإنسان في الطور الطبيعي وخرق السنة الطبيعية التي تلزمهما كليهما، فلكل أمرئ الحق في أن يدفع عدوانه وإقرار تلك السنة حتى يجوز لمن شاء أن يساعد المعتدي عليه في الاقتصاص من المجرم والتعويض عليه، لأنّ المجرم إن يطلق سنة العقل يصبح عدوا للبشرية جمعاء ولها الحق في معاقبته."⁽³⁾

لهذا فإنّ للإنسان سلطة قتل أي قاتل لإبعاد الآخرين عن ارتكاب مثل هذه الجريمة ولإنقاذ الآخرين مما قد يتعرضون له من أذى هذا المجرم الذي أساء استخدام عقله، على أساس أنه بارتكابه هذه الجريمة المتوحشة ضد فرد ما إنما يعلن الحرب على البشرية ولا بد أن يعامل في ذلك مثل ما يعامل الأسد والنمر تلك الحيوانات المتوحشة التي لا يمكن أن يجد معها الإنسان الأمن والاستقرار، فمن يريق دم الإنسان يجب أن يراق دمه.⁽⁴⁾

وبالتالي فإن حالة الطبيعة عند "لوك" لم تكن في حالة حرب وفوضى بل كانت شكلا من أشكال الحياة الذي يضمن الحرية والمساواة للأفراد وذلك بعدم إلحاق الضرر بأي إنسان آخر، لكن عندما حاول الأفراد الهروب من حالة الطبيعة والدخول في مجتمع منظم سياسيا فإنهم لم يفعلوا ذلك بسبب الخوف من الموت، بل أدركوا جيدا أنهم سيكونون في مجتمع منظم أكثر أمانا من الحالة الطبيعية وهو المجتمع المدني المتمثل في الدولة، حيث تكون خاضعة لحكم دستوري مؤسس على حقوق الفرد وهادفة إلى تأمين السلم وحماية الملكية الفردية.⁽⁵⁾

بعد أن أكد "جون لوك" أنّ الأفراد يعيشون حالة طبيعية ينعمون فيها بالحرية والمساواة وكانت لديهم ملكية مشتركة، ولكل فرد الحق في أن يحصل على أسباب عيشه مما تقدمه الطبيعة لأنّ الله وهب الأرض للبشر

¹ جون لوك، الحكومة المدنية " وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي، ترجمة: محمود شوتى الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر، شارع منصور، (د. ط)، (د. ت)، ص 15.

² محمد وقيع الله، مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 167.

³ جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، (د. ط)، 1959م، ص 17.

⁴ جون لوك، الحكومة المدنية " وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي، مرجع سابق، ص 19.

⁵ غنار سكيريك وآخرون: تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (ط. 1)،

2012م، ص: 467 . 468.

هبة مشتركة عامة فأينما أظهرت الأرض من أشجارها ثمارا تصلح للطعام كان من حق كل فرد أن يعيش منها دون كد ولا جهد، لكن عندما دخلت الملكية الخاصة وبدأ كل فرد يملك قطعة معينة من الأرض ويستغلها لصالحه وقع الخلاف بين الناس إذ لم يرع بعضهم حقوق غيره، بل كانوا يغتصبونها ويعتدون على ملكية غيرهم ويسخرونها طبقاً لأهوائهم الأنانية، مما حوّل حالة الطبيعة من حالة الأمن والسلام إلى حالة الحرب والنزاع حتى أصبح من الصعب على الإنسان أن يمارس حقوقه لا سيما الحقوق الأساسية منها: الملكية والمساواة، فقد تعرضت بصفة مستمرة إلى الانتهاك¹

ومن أجل هذا حاول الناس البحث عن طريقة للخلاص فلجأوا إلى التعاقد لكي ينشئوا المجتمع السياسي والهيئة التي تدير شؤونه، ومقتضى هذا التعاقد يتنازل كل فرد عن جزء من حقوقه أو بالأحرى عن سلطته في تنفيذ القانون الطبيعي للحاكم ويقبل الخضوع لحكم الجماعة في وضعها الجديد، بشرط أن الهيئة التي تنشأ في المجتمع الجديد بناء على تعاقد الأفراد ينبغي أن تتحصل سلطتها في حكم الجماعة من مجموع التنازلات الفردية، فيصبح الفرد لا يستطيع أن يقتضي حقه بنفسه إنما عن طريق السلطة الحاكمة التي يرجع لها وحدها حق استخدام الإكراه والإجبار في مواجهة الأفراد لإدارة شؤون الجماعة.⁽²⁾

وبالتالي فإنّ تكوين المجتمع السياسي في نظر "جون لوك" يتم عن طريق تحالف مجموعة من الأفراد على تحديد شخص معين بكامل إرادتهم يعتبر جزءاً من العقد، ويكون صادق ونزيه عندما يقوم بتسيير أمورهم كما يكون قادر على حمايتهم وإتاحة الفرصة أمامهم لممارسة حقوقهم الأخرى، فيتنازل كل واحد منهم عن بعض من حقوقه لهذا الشخص، لأن هناك حقوق لا يمكن التخلي عنها أو تركها مثل الحقوق الطبيعية التي هي موجودة في الإنسان منذ جاء على هذه الدنيا، وذلك كله من أجل تحقيق الهدف المقصود الذي يسعى إليه هذا العقد الاجتماعي وهو حماية الملكية التي تعتبر حق طبيعي لا يجوز خرقه والتعدي عليه، لأنه "يقوم على العمل ومقدار العمل لا على الحياة أو القانون الوضعي، وليس لأحد حق فيما يكسبه المرء بتعبه ومهاراته ولا تصير الحياة حقاً إلا إذا استلزمت العمل، فهو خاضع لشروطين الأول أنّ المالك لا يدع ملكيته تتلف أو تهلك والثاني أن يدع للآخرين ما يكفيهم فإنّ هذا حق لهم، وحرية العمل هي المبدأ الذي يسوغ الملكية والمبدأ الذي يحددها إذا يجب أن تبقى حرية العمل مكفولة دائماً للجميع،"⁽³⁾

¹ إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة " دراسة في فلسفة الحكم "، مرجع سابق، ص: 290.

² محمد كامل ليلة: النظم السياسية "الدولة والحكومة"، مرجع سابق، ص: 494.

³ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، (د ط) 2012، ص: 154.

يرى "جون لوك" أن التنظيم السياسي الذي يعمل على ضمان حقوق الأفراد من أي اعتداء ينطلق من الإقرار بوجود سلطات ثلاث تتمثل في السلطة التشريعية، القضائية والتنفيذية، حيث أكد أن هناك فرق بينهما في الدولة مبينا أسباب هذا الفصل ومبرراته ونتيجته من حيث ضمان حماية الحقوق والحريات الفردية، فافتراض أن السلطة التشريعية تمثل تعبيراً مباشراً عن إرادة الشعب حيث تقوم بتشريع القوانين خلافاً للسلطة التنفيذية التي تعمل على تنفيذ ما قامت بتشريعه الأولى وبهذا المعنى تخضع لها، بينما السلطة القضائية لم تحظ بعناية "لوك" إذ أنه لم ينظر لها بأي شكل من الأشكال.

استنتاج:

من خلال تتبع مراحل تطور الفكر السياسي عبر مراحل، تبين ان انظمة الحكم كانت تعيش تجارب مختلفة من التنظيم السياسي، تضمنت هذه التجارب الملكية والطغيان والارستقراطية والديمقراطية وكذا تأثر الفكر السياسي بالتفكير المسيحي، وبرزت من خلاله فكرة العدالة والسلطة السياسية، وصولا الى عصر النهضة اذ شهد الفكر السياسي تطورا وتحرر العقل من جل القيود المفروضة عليه من قبل الشرعية الدينية، وبرز هذا التحرر خاصة في انظمة الحكم الذاتي والملكية. مما تجلى هذا في افكار فلاسفة ومفكرين فيما بعد كانت على يدهم تغيرات جذرية في الفكر السياسي عامة، أمثال "جون جاك روسو".

الفصل الثاني: أسس الفكر السياسي لجون جاك روسو

تمهيد

المبحث الأول: تصور جون جاك روسو للمجتمع الإنساني

01: الحالة الطبيعية للإنسان

02: نظرية العقد الاجتماعي

المبحث الثاني: نظرية الدولة عند جون جاك روسو

01: الإرادة العامة

02: السيادة

المبحث الثالث: أبعاد الفكر السياسي لجون جاك روسو

01: الإنسانية

02: العلمانية

الفصل الثاني: أسس الفكر السياسي لجون جاك روسو

تمهيد:

عندما نتحدث عن فلاسفة التعاقد الاجتماعي، فإننا نقصد مفكرين ساهموا بالكثير معرفياً من أجل فهم ودراسة الحالة التي وصلت إليها الشعوب والدول، وكل ذلك بهدف استنتاج هذه المحددات التي باتت تحدد الإطار الذي تتأسس عليه الدول، فبعد أن وجد الإنسان نفسه في إطار علائقي مع الآخرين، اضطر لوضع معايير تحكم وتنظم علاقاته معهم، هذه المعايير هي التي تحدد ما يتأسس عليه التعاقد الاجتماعي، وفي هذا الإطار حاول "روسو" البحث ودراسة هذا الموضوع بأسلوب يتأسس على العقل لمعرفة مدى الصواب الذي يمكن أن يجنيه الإنسان بعد أن قرر الاتفاق مع الآخرين.

المبحث الأول: تصور جون جاك روسو للمجتمع الإنساني

يعتبر "روسو" من أبرز فلاسفة العقد الاجتماعي الى جانب "هوبز" و"لوك"، فقد صاغ هو الآخر افكاره حول الاجتماع البشري وكيفية انتقال الانسان من الحالة الطبيعية الى الحالة المدنية، واضعا بذلك كتابه العقد الاجتماعي الذي ألهم العديد من المفكرين والفلاسفة، مبرزا انتقال الانسان من المرحلة البدائية الى المرحلة المدنية.

01: الحالة الطبيعية للإنسان

ينطلق تصور "جون جاك روسو" لحالة الطبيعة من خلال اعتقاده بأن الانسان طيب بطبعه، وأن الطبيعة أو الفطرة هي ما جبل عليه الناس من غرائز واحساسات، فمعنى هذا أن الانسان طيب بطبعه، وأن السعادة ترجع للناس في حال استماعهم للطبيعة، وهو أن السعادة ترجع لهم إذا هم تركوا كل نتائج الفكر وما أبدعه من مدينة وحضارة ورجعوا إلى وحي الطبيعة الأولى وما تدعوا إليه من بساطة وسداجة.¹

كما يرى "جون جاك روسو" أن الحالة الطبيعية في الانسان الأولى كانت حالة يسودها الخير والسعادة والفضيلة، وأن المظاهر التي تعاكسها من شر، ظلم، كذب، تعسف ورياء ما هي إلا صفات الحالة السياسية والحضارية، وأن هذه الحقائق ليست هي التي اشتملت عليها جل الكتب والدراسات، وإنما هي حقائق الطبيعة ذاتها، وفي هذا السياق يقول: "فيا أيها الانسان من أي قطر كنت، وأيّا كانت آرائك ومذاهبك أصغ سمعا هذا تاريخك كما توهمت أني أقرأه لا في كتب أمثالك من الناس الذين هم كاذبون، بل في الطبيعة التي لا تكذب أبدا."²

والقصد من ذلك أن "جون جاك روسو" عارض هاته المجتمعات والتي وصفها بالظلم والجور والفساد، حيث سعى إلى إصلاحها، وهذا من خلال ارجاع الانسان إلى حالة البراءة، فنظرته تؤمن بالضرورة، فتمر بفترة الطبيعة، وتتميز بالطيبة لتتقدم دون العودة إلى الوراء، وبهذا فالإنسان يعرف تاريخه من خلال الطبيعة كون هذه الاخيرة لا تكذب.

¹ محمد حسن هيكال، روسو حياته وكتبه، دار المعارف القاهرة مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص:5.

² جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي للنشر، القاهرة، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، ط1، 2011، ص: 36.

وبالتالي فالطبيعة هي مجرد افتراض عقلي لا يهتم بالحقيقة التاريخية، ولكنها في نفس الوقت هي أكثر نفعاً من الوقائع التاريخية، فالإنسان يعرف تاريخه من خلال الطبيعة وبهذا الصدد يقول: "حكم صوت الطبيعة ولأن الطبيعة لا تكذب مطلقاً وكل ما يلي من الطبيعة يكون صادقا."¹

كما ينطلق "جون جاك روسو" في تحديده للإنسان الطبيعي من معطيات افتراضية تخمينية، لذا فهو يري بأن كل الكتب والدراسات السابقة لا ترينا الانسان الطبيعي، وإنما ترينا المرحلة التي صنع فيها الانسان نفسه.²

وفي تصوره لحالة الانسان الطبيعي يقول: "يبدو لأول وهلة أن الناس وهم في حالة الطبيعة لم يكونوا صلاحاً ولا صالحين، ولا كان لديهم لا فضائل ولا رذائل، إلا إذا استعملنا هاتين الكلمتين بمعنى طبيعي، وفي هذه الحالة يجب أن يدعي الأكثر فضيلة من كان أقلهم مقاوما لاندفاعات الطبيعة."³

وهذا يعني أن الانسان الطبيعي في الحالة الطبيعية كان متواجداً في الغابة لا يعرف أهله، ولعله لم يكن يعرف حتى أولاده ولا لغة ولا أي شيء، من حيث أنه لم يكن له مع أفراد أنواعه أي علاقة يمكن أن تصير علاقة خلقية، بل كان حاصلاً فقط على وسائل إرضاء حاجته الطبيعية.

من خلال هذا الطرح يتبين أن "روسو" أعطى منحى آخر في وصف الحالة الطبيعية للإنسان بخلاف سابقه من المفكرين، حيث ذهب في وصفه للإنسان في الحالة الطبيعية، وهي حالة ما قبل نشوء المجتمع المدني، إلى أن الانسان يعيش حياة أقرب إلى حياة الحيوانات فهو يتجول باحثاً عن الأكل ويحاول أن يحافظ على بقاءه، ولكن ليس حيواناً شرشاً ولا عدوانياً بطبيعته.

وبالتالي فـ "جون جاك روسو" يعترف بأن أقدم أشكال الاجتماعات البشرية هي الأسرة حيث يقول: "لأن الابناء مرتبطين بالأب طالما هم بحاجة إليه من أجل بقائهم، فيما تنتهي هذه الحاجة حتى تنحل هذه الرابطة الطبيعية، وإذا يصبح الأولاد متحررين من الطاعة الواجبة عليهم نحو الأب يعودون جميعاً على سواء إلى الاستقلال، وإذا هم استمروا في البقاء متحدّين فإن ذلك البقاء لا يعود طبيعياً بل يكون إرادياً والأسرة نفسها لا تبقى إلا بالتعاقد."⁴

¹ جون جاك روسو، إيميل، مصدر سابق، ص: 140.

² إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص: 219.

³ جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة بوليس غانم، مصدر سابق، ص: 36.

⁴ جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، ترجمة عادل زعيتر، ط2، 1995، ص: 36.

والمقصود بذلك أن الأسرة تمثل النموذج الأول للمجتمعات السياسية، فيشكل الأب القائد (الزعيم)، في حين يشكل الشعب صورة الأولاد والفرق في الصورتين، أن الأب في الأسرة يدفعه حبه لأولاده لما يبذله من عناية بهم، في حين أن شهوة القيادة تقوم مقام هذا الحب الذي يكنه الزعيم لشعبه، وبالتالي كانت الأسرة أقدم نموذج لحالة الطبيعة عند "جون جاك روسو".

فالإنسان الطبيعي عند "روسو" يخشى دائما ويتجنب الشرور والجوع، الجوع والموت وأهواله، فأول مكسب للإنسان الطبيعي ابتعاده عن الحالة الحيوانية وهو على استعداد تام ودائم الرحمة، الشفقة والتسامح، وفي تلبية لجميع حاجاته يصبح في سلام ووفاق مع الطبيعة، ومن هنا يعيش السعادة باعتبار هذه المرحلة الطبيعية كان يسودها الخير والسعادة، وفي هذا يقول: "الخيرات الوحيدة التي يعرفها في هذا العالم الطعام والأنثى والراحة، أما الشرور التي يخشاها فهي الجوع والجوع".¹

ومن هنا يؤكد "جون جاك روسو" على أن الطبيعة الإنسانية تتغير ولا تبقى كما هي بل تطرأ عليها تحولات فالإنسان لا يبقى على الحال نفسها، وأنه لا يأمل أن يرى نفسه كما صنعتها الطبيعة من خلال جميع التغيرات التي وجب أن يكون تعاقب الأزمان والأشياء التي أحدثتها.

معنى هذا أن الإنسان في الحالة الطبيعية تطرأ عليه تغيرات وتحولات عديدة، وهذا نتيجة العوامل والظروف الطبيعية التي ساهمت بشكل كبير في تغير حالة الإنسان، وبهذا فإن الإنسان لا يبقى على الحال نفسها.

كما أن حال التفكير عند "جون جاك روسو" يتنامى مع الطبيعة الأولى للإنسان فالطبيعة تضاد للعقل عند روسو، حيث يقول: "إذا كانت الطبيعة أعدتنا لكي نكون أصحاباء، فإنني أكاد أحرؤ على القول بأن التفكير مضاد للطبيعة، والإنسان الذي يفكر مخلوق فاسد".²

من هنا حاول "روسو" إبراز فكرة الحرية التي تميز بها الإنسان عن الحيوان، وهكذا باعتبار هذه الأخيرة تشكل قابلية للاكتمال، فالحيوان ينقاد إلى دافع الطبيعة بينما الإنسان لا يرى نفسه حرا إلا في الانقياد له ومقاومته، وإنما تبين روحانية نفسه من الشعور بهذه الحرية.

ومن هنا فإن "جون جاك روسو" قد أنكر كون الإنسان حيوان عاقل، إلا أنه رأى بأن للإنسان خاصية مميزة وهي قابلية الكمال، ومعنى ذلك أنه من الممكن إصلاح الجنس البشري وتطوره، وعليه يمكن فهم فلسفة

¹ جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق، ص: 109.

² المصدر نفسه، ص: 38.

"روسو" بأنها توحى إلى فهم العلاقة القائمة بين الإنسان والطبيعة، باعتبار أن العالم ليس بمثابة قوة طبيعية تعارض الذات البشرية، وإنما هي جزء لا يتجزأ من هذا الوجود الإنساني.

02: نظرية العقد الاجتماعي

لا يستطيع الانسان أن يعيش منفردًا، رغم أنه يولد بمفرده ويموت بمفرده ولكنه لا يجيا إلا مع غيره من الآخرين، كون حالة الطبيعة التي كان عليها لم تستمر نتيجة للتقدم والتغير الذي طرأ عليها فجأة، وبهذا فإن الاجتماع أضحي ضروريًا، ومن العبث محاولة فضه والعودة إلى الحالة الطبيعية، وبالتالي أصبح الاجتماع أمرًا هامًا بشكل العقد الاجتماعي وهو أساس قوامه حيث يرى البعض على أنها نشوء المجتمع المدني، حاول إعادة صياغة الجملة والذي يذهب إلى خط مستقيم إلى الدولة الحديثة التي أفرزتها فلسفة الأنوار فهي الأساس الأول الذي قامت عليه الدولة.

بالرغم من أنّ روسو قد أكد على أن الحالة الطبيعية الأولى هي الحالة التي يعيش فيها الأفراد بسلام ويسود فيها العدل والحرية، إلا أنه كان ينصح الناس بعدم الرجوع إليها معتقدا أنّ هؤلاء بإمكانهم أن يكونوا أقرب ما يكونون إلى مزايا هذه الحالة إذا عاشوا في مجتمع زراعي بسيط تكون فيه الرغبات محدودة والدوافع الجنسية والأنانية محكومة، والطاقت كلها موجهة نحو الانهماك في الحياة الاجتماعية.⁽¹⁾

ومع اكتشاف الحديد، وهو شرط الزراعة يستمد المزارعون الآلات الحديدية من صناعاتها مقابل قوتهم، وتستتب الزراعة تقسيم الأراضي، فيزداد التفاوت وتتفاقم الخصومات، ويتفق الأغنياء والأقوياء على وضع أنظمة عامة تصون لكل ملكه، وتوطد السلام، ويرضخ الفقراء والضعفاء لهذه القوانين كي يدفعوا الشر عن أنفسهم، من هنا تبدأ المدنية المنظمة بالقوانين وتثبت الملكية، ويتوطد التفاوت، وهكذا أصبح الإنسان الطيب شريرا بالاجتماع²، فبازدياد نشاطات الإنسان ورغباته تتزايد النزاعات والفروقات ما أدى إلى حتمية الاجتماع ووجود قوانين، وتظهر الملكية الخاصة بعد أن كانت الأرض وما عليها للجميع ولا نزاع عليها في حالة الطبيعة الأولى، فنلاحظ مجموعة من الامتيازات يتمتع بها بعض الناس على حساب حقوق الآخرين.

فيغدو التملك حقا مكتسبا لحالات لا ينازعه فيه أحد، ولا يوجد تناقض بين الحرية والملكية في الدولة المعتدلة، وفي هذا الصدد يقول روسو: "ما كسبه الفرد من الحرية المدنية وملكية كل ما هو في حيازته وحتى لا

¹ أحمد الشيوحات، الموسوعة العربية العالمية، المجلد: 11، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (ط. 1)، 1996، ص: 343.

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: 213-214.

نخطئ في هذه التعويضات يجب أن نميز الحرية الطبيعية التي ليس لها من حدود سوى قوى الفرد عن الحرية المدنية التي تكون محدودة بالإرادة العامة"¹.

وعليه فبالرغم من أنّ روسو قد أكد على أن الإنسان ليس ذئباً لأخيه الإنسان بالفطرة بل على العكس من ذلك طبيعته خيرة في الأصل وشريرة عند الاجتماع، وهذه الطبيعة الإنسانية في نظره تعد بمثابة الحالة الأسمى التي يمكن من خلالها تحقيق العدل والمساواة والحرية، إلا أنه عندما ظهرت الملكية وبدأ كل إنسان يملك قطعة أرض معينة نشأت الصراعات والحروب فأصبحت حياته شبيهة بحياة الغابة وهي حالة طبيعية تسمى حياة الفوضى، لكن الإنسان لن يبقى على هذه الحالة بل سعى إلى دفع مثل هذه الفتن واسترجاع الأمن لمجتمعه، فحاول الانتقال من الحالة الطبيعية إلى حياة مدنية وسياسية وسميت هذه بنظرية العقد الاجتماعي.

لقد عمل "جون جاك روسو" على عاتقه حلاً قدمه لإصلاح مفاصل الاجتماع، تمثل هذا الإصلاح في إقامة تعاقد اجتماعي يقي الإنسان من شرور الحالة المدنية التي انتقل إليها باستخدامه العقل، حيث رمى "جون جاك روسو" إلى العقد الاجتماعي الذي كان بمثابة خطة عملية تهدب حالة المدينة والحضارة، وتعالج مطالبها مع الاحتفاظ بمزاياها الحسنة.

أي أن العقد الاجتماعي هو مشروع "روسو" الذي حاول من خلاله إصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية، فيمكن الإنسان من استرجاع بعض خيرية وميزات الحالة الطبيعية التي كان يتمتع بها بما أنه لا يستطيع الرجوع إليها بالمطلق، كما أنه أراد أن يحافظ على بعض المكتسبات الحسنة لحياة الحضارة، والتي لا يمكن للإنسان التنازل عنها.

وبناء على ذلك يقول "روسو": "الميثاق الاجتماعي لكيلا يكون صيغة فارغة، إذن يشتمل ضمناً على ذلك العهد الذي يمكنه وحده أن يمنح الآخرين قوة، فكل من يأبى الخضوع للإرادة العامة يكره عليه من قبل الهيئة بأسرها، وهذا لا يعني غير إلزامه بأن يكون حراً، وذلك أن هذا الشرط إذ يعطي كل مواطن للوطن يضمه من كل خضوع شخصي، وأن هذا الشرط ينطوي على مفتاح إدارة الآلة السياسية، وأنه وحده يجعل العهود المدنية شرعية."²

يعرف "جون جاك روسو" العقد الاجتماعي بأنه عبارة عن اتفاق الأفراد على أن يخضعوا رأيهم وحقوقهم وسلطاتهم لحاجات ورأي مجتمعهم ككل، وكل شخص يدخل ضمناً في مثل هذا العقد بقبوله حماية القوانين

¹ جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعير، مصدر سابق، ص: 55.

² المصدر نفسه ص: 49.

العامة، والسلطة العليا في أي دولة لا تستقر في أي حاكم فردا كان أو جماعة، بل في الإرادة العامة للمجتمع وتلك السيادة لا يمكن التخلي عنها أبدا، وإن جاز تفويضها جزئيا إلى حين.¹

أي أن العقد الاجتماعي هو ذلك العهد أو الالتزام بين المواطنين بصنع مجتمع يخضع للإرادة العامة، حيث يستشعر من خلاله كل فرد قوته وحرية الخاصة باعتباره كان مشاركا في صناعته، ومن ثم لا بد لكل فرد الامتثال للإرادة الشعبية، ومن يرفض ذلك يجبر من قبلها لأن في ذلك إلزامه بأن يكون حرا، ولأن من يهب نفسه للجميع لا يهب نفسه لأحد حيث يبقى حرا.

وفي هذا الصدد يقول "روسو": "وما كان هذا المقدم من القوى لينشأ إلا باتفاق أناس كثيرين، ولكن بما أن قوة كل إنسان وحرية كانتا أولى الوسائل لسلامته، فكيف يرهنهما من غير أن يضر بنفسه، ويهمل ما يجب من العناية بشخصه؟" فيجيب: "إيجاد شكل لشركة تجير وتحمي -بجميع القوة المشتركة - شخص كل مشترك وأمواله، وإطاعة كل واحد نفسه فقط، وبقاؤه حرا كما في الماضي مع اتحاد بالمجموع."²

هاته الضرورة عندما تبعت حالة التقدم مرحلة لا تترك للإنسان. فرصة الخيار حيث الرجوع إلى الوراء (الحالة الطبيعية)، وفي نفس الوقت يضطره العجز إلى الخروج من هذه الحالة إلى حالة أخرى أكثر ملائمة لحياته، ومنه فالمجتمع المدني هو الذي يحفظ حقوق وحرية الأفراد ودون المساس بما هو مكتسب من الطبيعة الأصلية.

إن العقد الاجتماعي هو الأساس الذي انتقل من خلاله البشر من حالتهم الطبيعية إلى حالة الاجتماع المدني.

ويؤكد "جون جاك روسو" في كتابه الشهير العقد الاجتماعي بأنه يسعى إلى البحث عن إقامة مجمع مدني من أجل تجاوز الصعاب ومخاطر الحياة التي كان يعيشها الانسان في المرحلة الطبيعية حيث يقول: "أريد أن أبحث فيما إذا كان يمكن أن تكون في النظام المدني قاعدة لإرادة شرعية وأكيدة وذلك بتناول البشر كما هم والقوانين كما يمكنها أن تكون"³.

¹ ويل ديورانت، قصة الحضارة "روسو والثورة"، المجلد: 10، (ج. 1)، ترجمة: فؤاد أندراوس، مراجعة: علي أدهم، بيروت، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت)، (د. ط)، ص: 283.

² جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مصدر سابق، ص: 37.

³ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، لبنان. مصدر سابق، ص: 33.

معنى هذا أن الاجتماع أصبح ضرورة أساسية في نشوء المجتمع المدني، وهذا فإن "جون جاك روسو" أراد أن يبحث عن مجتمع مدني يتمتع فيه الأفراد بحقوقهم في ظل الجماعة من أجل تجاوز المخاطر والصعوبات التي كان يعيشها الفرد في مرحلة سابقة.

إن انتقال الإنسان من الحالة الأولى (الطبيعية) إلى المجتمع المدني غير من سلوكاته وتصرفاته سواء تجاه نفسه أو اتجاه غيره، فاكسبت أفعاله أدبا وحسن تصرف لم يعقلهما، ولم يعطي لها أية أهمية، فوجد في هذا المجتمع أمور جديدة في حين أنه فقد أشياء أخرى ومنها الحرية التي أكسبته إياها الطبيعة، وكذا الحق الذي لا حدود ولا ضوابط له، حيث كان يصل إلى كل ما يشاء وله الحق في كل ما يرغب فيه.

فالعقد الاجتماعي برأي "روسو" هو أداة إرادية تنازل من خلالها الأفراد عن حريتهم الطبيعية وأذابوا إرادتهم الفردية في إرادة عامة مشتركة، فاستعاضوا عنها بالحرية المدنية وملكية ما يجوزتهم، كما أن المجتمع المدني أضاف نوعا آخر من الحرية ألا وهي الحرية الأدبية، والتي تجعل الفرد سيدا لنفسه، حيث أنه وجب عليه طاعة القانون الذي فرضه على نفسه بإقامة هذا العقد الاجتماعي، هي حرية تتعين الإرادة في الملكية أو في التملك، ولهذا الإرادة نوعان فإما أن تكون ذاتية، وإما أن تكون موضوعية محدودة بحدود الإرادة العامة.

وفي هذا الصدد يقول "روسو": "وما كان هذا المقدار من القوى لينشأ إلا باتفاق أناس كثيرين ولكن بما أن قوة كل انسان وحرية كائنا أولى الوسائل لسلامته، فكيف يرهنهما من غير أن يضر بنفسه ويهمل ما يجب من العناية بشخصه؟"

وبالتالي فنظرية العقد الاجتماعي تهدف في نظر "جون جاك روسو" إلى إيجاد نوع من الاتحاد يحمي بقوة المجتمع، فكل شخص مع جميع حقوقه ويسمح لاتحاد الفرد مع الكل وفي نفس الوقت لا يخضع لنفسه. وأن تبقى له الحرية التي كان يتمتع بها من قبل.¹

أي أن العقد الاجتماعي توفيق بين الحالة الطبيعية الأولى للإنسان التي كان يتمتع فيها بالحرية والحالة المدنية التي أصبحت ضرورة للناس، فرغم أنه يتنازل في العقد الاجتماعي عن بعض حقوقه لصالح الحاكم إلا أنه يحفظها في نفس الوقت بهذا العقد كالحرية مثلا التي يتنازل عنها لكنه يحافظ عليها باعتباره شارك في صنع القرار. فضلا عن ذلك فنظرية العقد الاجتماعي عند "روسو" تعتمد على تنازل الأفراد عن حقوقهم لصالح الشراكة العامة والى تضمن بدورها لهم كامل حقوقهم وذلك بالعدل والتساوي.

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: 216.

ويلخص "روسو" العقد الاجتماعي باختصار في قوله: "إذن نحن أبعدنا من العقد الاجتماعي ما لا يعتبر مكونا لماهيته، نجده يحتزل فيما يلي: كل واحد منا يضع شخصه وسلطته في ملكية الجميع تحت تصرف القيادة العليا للإرادة العامة. وسيصبح كل عضو في الجماعة نتيجة لذلك جزء لا يتجزأ من الكل".¹

فالتنازل عن الحقوق للجميع يمنح كل الحقوق للجميع هذه فكرة العقد الاجتماعي عند "روسو".

¹ محمد الهلالي وعزيز لوزق، الحق والعدل، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2014، ص: 28.

المبحث الثاني: مقومات الدولة عند جون جاك روسو

01: الإرادة العامة

لقد احتلت الإرادة العامة مكانة مبدئية في فلسفة "روسو" السياسية، إذ تمثل ثمرة مؤلفه الشهير العقد الاجتماعي والذي كرسه من أجل التعبير عن تلك الإرادات الصادرة من العضو الناطق بلسان المجموع والذي يضم الأفراد جميعاً، وهذا أعطى لها صلاحية كبرى في جلّ الوظائف السياسية، فظهرت كالقاعدة الصادرة التي أوكل إليها روسو كل شيء سواء تعلق الأمر بسن القوانين أو إصدار القرارات.

الإرادة العامة: *Volonté général*: مصطلح مألوف عند الفلاسفة (القرن 18) وهي صفة رجل يدرك عند تجرده من الأهواء ما يستطيع أن يطالب من أبناء جنسه وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه¹.

وقد ذكر "جون جاك روسو" أن أفراد الشعب عندما تعاقبوا مع أنفسهم، فقد احتفظوا لأنفسهم بحق الحكم، وضعوا كياناً معنوياً أسموه (الإرادة العامة)، هذه الأخيرة هي روح عامة تسري في كيان الشعب وهي وحدها المسؤولة بحمل أمانة الحكم فالدولة هي الشعب والشعب هو الدولة إنما الإرادة العامة، حيث يقول روسو: "إن أولى نتائج المبادئ المقررة أنّها وأهمها هو كون الإرادة العامة وحدها هي التي يمكنها أن توجه قوى الدولة وفق هدف نظامها الذي هو الخير العام، وذلك إذا كان تعارض المصالح الخاصة قد جعل قيام المجتمعات أمراً ضرورياً فإن توافق هذه المصالح نفسها هو الذي جعل ذلك ممكناً (...). والواقع أنه يجب أن يدار المجتمع على أساس هذه المصلحة المشتركة فقط."²

فمن نتائج العقد الاجتماعي تكون الإرادة العامة التي نشأت من توافق المصالح، ورأى روسو أنّها أساس الدولة فهي من يوجهها وفق ما يتوافق مع منفعة الجميع والخير العام.

ويؤكد كذلك قائلاً: ما دام أن جملة من الناس مجتمعون يعتبرون أنفسهم هيئة واحدة، فليس هذا سوى إرادة واحدة تتصف باتجاه المحافظة المشتركة وباتجاه الرفاهية العامة"³.

ويرى "روسو" أن الإرادة العامة تكون صائبة دائماً، وأنّها تهدف إلى النفع العام دائماً، ولكنه لا يستنتج من ذلك اتصاف شورى الشعب بمثل تلك الإصابة دائماً، ونزيد ما فيه خيرنا دائماً، ولكننا لا نبصر ذلك دائماً، ولا يرشئ

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص: 58.

² جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط، مصدر سابق، ص: 55.

³ المصدر نفسه، ص: 58.

الشعب مطلقاً غير أنه يخضع غالباً (...). ويوجد في الغالب فرق كبير بين إرادة الجميع والإرادة العامة، فالإرادة العامة لا تبالي بغير المصلحة المشتركة، وتبالي الإرادة الأخرى بالمصلحة الخاصة إن الإرادة العامة هي التي لها الحق في توجيه وقيادة قوة الدولة نحو الغاية التي انشأ من أجلها النظام السياسي وهو الصالح العام.¹

معنى هذا أن الإرادة العامة دائماً تكون على حق وعدل مادام غرضها الأقصى هو المنفعة العامة، فالخير للجميع الذين يتشاركون في سيادة الدولة، أما إذا توجهت الإرادة إلى خدمة مصالحها الشخصية ونظر كل فرد من أفراد الشعب إلى نفسه دون الآخرين فيمكن أن تعم الفوضى والاختلاف والصراع والنزاع من أجل المصالح الفردية داخل أركان الدولة، وبهذا بالإمكان أن تضل الإرادة العامة كما صرح روسو في كتابه العقد الاجتماعي وبهذا لا تنطفئ شعلة الإرادة العامة في المواطن والمناقبى تؤثر فيه وفي سلوكياته وفي علاقته مع الآخرين جماعة أو حزبا أو دولة كالإرادة العامة للحد وحدها صاحبة السيادة ولها الحق في قيادة الدولة نحو الغايات التي أنشأت من أجلها وهي تحقيق المنفعة والخير المشترك للصالح العام.

إن الإرادة العامة هي التي لها الحق في توجيه وقيادة قوة الدولة نحو الغاية التي أنشأ من أجلها النظام السياسي وهو الصالح العام.²

فـ "روسو" يرى أن أساس الإرادة العامة هي المنفعة وأن الإرادة العامة هي التي تهدف إلى تحقيق وهذه المنفعة هي التي تجعل من الممكن قيام الدولة.

فالإرادة العامة تسعى دائماً للحفاظ على الحقوق والتحلي بالأمن والاستقرار، وتذهب إلى توفير الرفاهية وتجعل العلاقة التي تجمع بين الأفراد مع بعضهم البعض علاقة قوية تسودها المساواة، وهذا من أجل بناء مجتمع سياسي منظم، فالحاكم الانساني في الواقع، هو الإرادة العامة وتوافق المجتمع ولالإرادة العامة حسب روسو عدة صفات تتميز بها وهذا من خلال انواعها المختلفة وتتمثل في:

- 1- الإرادة العامة ثابتة ودائمة ولا تغنى كما أنها تتميز بالنقاء وهذه الصفة مشتقة من تصميم الأفراد على ضرورة الوصول إلى الغاية التي تم إنشاء المجتمع من أجلها وهي تحقيق ما فيه الخير لهم وتحقيق المساواة.
- 2- الإرادة العامة مرتبطة بزمان معين حيث إنها تعبر عن إرادة شعب معين في مكان وزمان معين.
- 3- الإرادة العامة لا تنحاز عن مصدرها الجميع، ويجب أن تطبق على الجميع.

¹ د حسن سالم العادي، فلسفة الإرادة العامة في الفكر الغربي، المجلة الجامعية، المجلد 2، العدد 20، قسم الفلسفة كلية الآداب، جامعة الزاوية، أكتوبر 2018، ص 181
² محمد علي محمد، علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 166.

4-الارادة العامة يجب أن تبقى وحدتها سيدة التشريع.

5-الارادة العامة أخلاقية تعصمها الفضيلة من الجور والاستبداد.

6-الارادة العامة مرنة تحتوي كل الآراء قابلة لاستيعاب رأى كل الافراد الداخلين في تكوين الدولة.

7-الارادة العامة تحدد نفسها بنفسها. فهي تحدد نطاق العمل، وما يجب علينا عمله أو تركه¹.

وما يمكننا الاستنتاج من كل هذا أن الإرادة العامة يمكنها أن تحقق العديد من الأهداف باعتبارها أولاً مصدراً للقوانين لأنها تشرف على العقد الاجتماعي، وكذلك لأنها تفرض التمييز المعلن عنه بين السيادة والحكومة وكذلك باعتبارها هي الهيئة الوحيدة التي تجعل من الممكن قيام المؤسسة الشرعية.

02: السيادة:

تعتبر كلمة السيادة* كلمة حديثة العهد والاستعمال، ودخلت في لغة القانون والسياسة، للتعبير عن صفة الاستقلال والتي تختص بها الدول المعاصرة، ويبقى اشتقاق هذه الكلمة ذو مصدر لاتيني شاع في القرون الوسطى.

وهي Superamus بمعنى الأسمى، أي السلطة العليا وكما عرفها جميل صليبا في معجمه إلى أنا "السيد" في اللغة الملك والملك، والمولى سيد العبيد والخدم والمتولي للجماعة الكثيرة، وكل من افترض طاعته، وسيد كل شيء، أشرفه وأعلاه ومنه قولهم الخير الأعلى ويطلق في علم السياسة على الفرد والجماعة من جهة ما مهما كانا متمتعان بالسلطان في الدولة والسيادة مصدر ساد تقول سيادة عظم وشرفا وساد قومه صار سيدهم، ومنه سيادة الدولة وسيادة القانون.²

وإذا أضيف لفظ السادة إلى الدولة، دل على السلطة السياسية التي تستمد منها جميع السلطات الأخرى والدليل على ذلك جاء في إعلان حقوق الإنسان من إشارة إلا أن كل سيادة هي مستمدة من الشعب، لا يمكن لأحد أن يمارسها إلا باسمه، وهي واحدة لا تنقسم ولا تبطل بمرور الزمن ويطلق لفظ السيادة على استقلال الدولة عن غيرها استقلالاً تاماً، وإذا كانت سيادة الدولة مستمدة من الشعب كان نظامها ديمقراطياً، وإذا كانت غير مستمدة منه كان نظاماً دكتاتورياً³.

¹ فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، (د. ط)، 2008، ص90.

² نعمون مسعود، التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الإنسان عند روسو، اطروحة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة الاخوة منتوري قسنطينة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2008، ص 84.

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ص: 678-679.

² المرجع نفسه، ص: 679

يشير مفهوم السيادة داخلياً إلى السلطة الشرعية الشاملة والمطلقة التي متارسها الدولة على إقليم محدد. أما خارجياً فيرتبط المفهوم أساساً بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وكذا المساواة القانونية بني هذه الدول في مختلف علاقاتها وتعاملاتها الدولية¹.

يربط "جون جاك روسو" السيادة بالإرادة العامة، ويرى أن العقد الاجتماعي يمنح الدولة سلطاناً مطلقاً على جميع أعضائها، وهذه السلطة نفسها الموجهة بدورها من قبل الإرادة العامة تسمى سيادة، حيث يقول روسو: "بما أن السيادة ليست غير ممارسة الإرادة العامة فإنه لا يمكن أن يتنازل عنها، وإن السيد الذي ليس سوى كائن اجتماعي لا يمكن أن يمثل بغير نفسه، فالسلطان لا الإرادة هو الذي يمكن نقله."²

وبهذا فـ "روسو" يتحدث عن السيادة. وهو لا يفصلها عن الإرادة العامة. فالعقد الاجتماعي يمنح الهيئة السياسية، أي دولة سلطاناً مطلقاً على جميع أعضائها، وهذه السلطة نفسها، الموجهة بدورها من قبل الإرادة العامة، تسمى سيادة... السيادة ليست سوى ممارسة الإرادة العامة فإنها لا تستطيع أبداً التنازل عن ذاتها، وإن صاحب السيادة الذي ليس سوى كائن جماعي لا يمكن أن يكون ممثلاً إلا لنفسه"³.

وهذا يعني أن السيادة لا بد أن تكون واحدة مرتبطة بالإرادة العامة ارتباطاً وثيقاً فتقسيم السيادة أو التنازل عنها لأي ممثل مهما كان، أمر غير ممكن عند روسو، والقانون الذي يصدر عن الشعب قانوناً على الإطلاق.

اذن وبحسب "روسو" إن السيادة الشعبية هي أعلى من كل سلطة في المجتمع السياسي، بل أنها هي التي تؤسس كل سلطة أو هيئة فيها، وتتميز بالخصائص التالية:

• السيادة واحدة ولا تقبل التجزئة

يقول هي هذا الصدد: "إن السيادة لا تتجزأ لنفس السبب الذي يجعلها غير قابلة للتنازل إذ أن الإرادة تكون عامة، أو أنها لا تكون كذلك فهي إرادة هيئة الشعب كله أو إرادة جزء منه فحسب، وفي الحالة الأولى تكون هذه الإرادة المعلنة عملاً من أعمال السيادة وتكون قانوناً، أما الثانية فليست سوى إرادة خاصة، أو عمل من أعمال القضاء إنها مرسوم على أكثر تقدير."⁴

¹ د ياسر العلوي، معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، سلسلة كتب، حرف السين، 2014، ص41

² جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مصدر سابق، ص51.

³ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان فرقوط، مصدر سابق، ص63.

⁴ المصدر نفسه، ص65.

ومعنى هذا أنه على الاقليم الواحد لا يمكن أن توجد سوى سيادة واحدة أي سلطة عليا واحدة، ولا يمكن تجزئتها فوجود سيادتان على إقليم واحد وأصدرت كل منها أمراً مناقضاً للأمر الذي أصدرته الأخرى ففي هذه الحالة لا يمكن تنفيذ الأمرين معاً لأنهما متناقضين ومنفصلين.

• السيادة غير قابلة للتنازل:

إن السيادة تكمن في تطبيق الإرادة على القوة المشتركة فالسيد ليس بطبيعته إلا شخصا معنويا وأنه ليس له إلا وجود مجرد وجماعي، وباختصار فإن السيادة ليست إلا ممارسة الإرادة العامة، وعليه فالسلطة يمكن أن تنتقل أما الإرادة فلا يقول روسو بالنظر إلى أن السيادة ليست سوى ممارسة الإرادة العامة فإنها لا تستطيع أبدا التنازل عن ذاتها وأن صاحب السيادة الذي ليس سوى كائن اجتماعي لا يمكن أن يكون ممثلاً إلا بنفسه وأن السلطة يمكن أن تنتقل أما الإرادة فلا¹.

من هنا يرى "روسو" أن صاحب الحق في السيادة لا يمكنه أن ينقلها إلى آخر، ذلك أنه لما كانت السيادة في حقيقتها إرادة فإنها لا يمكن فصلها عن صاحبها فالإنسان لا يمكن أن يتصرف في إرادتها، فالإرادة العامة هي صاحبة السيادة في المجتمع.

وهذا ما يؤكد "روسو" بقوله "لا يعني هذا فقط أن أوامر الرؤساء لا يمكن اعتبارها إرادات عامة طالما يكون صاحب السيادة حراً في معارضتها ففي مثل هذه الحالة يجب أن تخمن من السكوت العام بأن الشعب راض".²

ومن هنا نستنتج أنه لا يمكن للسلطة أن تتنازل عن نفسها لهيئة أخرى، فلا تستطيع السيادة القيام بذلك، فيفقد كل المواطنون كيانهم كشعب في اللحظة التي يتنازلون فيها عنها، ولا يمكن التنازل عنها سواء لممثل أو عضو برلماني، كما لا يمكن أن تنتدب السيادة فهي إما أن تكون نفسها أو شيئاً آخر، وممثلو الشعب ليسوا مندوبين عنه وبالرغم من إعطائهم السلطة عن الشعب إلا أنهم لا يمكنهم اتخاذ قرارات فاصلة يرفضها الشعب.

• السيادة مطلقة:

بوصفها سلطة تعتبر مصدر المميزات والصفات التابعة لها، كونها أعلى خاصية. للدولة، فلا يوجد سلطة أو هيئة أو مؤسسة أو جماعة أو أفراد أعلى منها في الدولة، وبها تبسط نفوذها على المواطنين وإقليمها، فلا تعلق

¹ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان فرقوط، مصدر سابق، ص65.

² المصدر نفسه، ص64.

سلطة عليها في الداخل ولا في الخارج، وهي مانحة الإرادة للمؤسسات القائمة داخل الدولة في تسيير مرافقها والنافذة على حدود إقليمها.¹

يرى "روسو" بأن السلطة التي توجهها الإرادة العامة تسمى سيادة، هذه الأخيرة مقدسة وذات حرمة، فالسلطة السيدة المطلقة المقدسة لا يمكن أن تتجاوز حدود العهود العامة، وأن كل إنسان يستطيع أن يتصرف تصرفا تاما فيما ترك من أمواله وحرية بهذه العهود، فلا يحق للسيد مطلقا أن يحمل أحد الرعايا أكثر مما يحمل الآخر، وذلك لأن الأمر يصير خاصا هنالك فيعود سلطانه غير ذي اختصاص.²

أي أن للشعب السلطة المطلقة ولا يمكن أن تتجاوزها، لأنها تستمد قداستها وشرعيتها بموجب العقد الاجتماعي، هذا العهد هو عهد بين الجميع والذي سوى بين الجميع لأنه لم يبرم من أجل أن يكون لأحد سلطة على أحد، بل للجميع السلطة المطلقة ويحق لهم التصرف في حقوقهم التي تنازلوا من أجلها، وتعاهدوا على حفظها.

فالسيد حسب كتاب العقد وإن صح القول طيب من حيث ماهيته، إنه لن يسيء أبدا استعمال سلطته المطلقة حيث يقول "روسو": "إن الشعب كجسم، أي تجمع الناس الأحرار والمتساوين في الحقوق الذي تحركه وترشده الإرادة العامة لا يمكن أن يضل."³

يتضح من هذا أن صاحب السيادة ذو سلطة مطلقة، وعلى ذلك فقد انتقلت إليه كل حقوق الأفراد وحرياتهم الطبيعية ليمنحهم عوضا عنها حقوقا مدنية التي أصبحت حقوقا حقيقية بحكم ما تتمتع به من حماية السلطة العامة.

فالسيادة لها عدة خصائص أخرى منها:

- 1 . شاملة: كونها تشمل كافة المواطنين ومن يقيم على إقليمها.
- 2 . دائمة: فوجودها مقترن بوجود الدولة واستمرار بقائها منها، فهي تستمر باستمرار الدولة وتزول بزوالها.
- 3 . سلطة قانونية: كونها مبنية على القوانين فهي سلطة تمارسها الهيئة التي يخولها الدستور أو القانون.

¹ سليمان سالم، عز الدين مسعود، خاصة سيادة الدولة، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 6، العدد 1، جوان 2001، ص: 703.

² جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط، مصدر نفسه، ص 53.

³ جون جاك شوفلي، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة الى الدولة القومية، مرجع سابق، ص 502.

4. مجردة: فالسيادة حقيقة مجردة موضوعية (عن الرمان والمكان) فهي لا تزول أو تنتهي بزوال الحكم أو سقوطه.

5. لا تكتسب بمرور الزمن ولا تسقط بمروره.

وفي الأخير نستنتج أن السيادة في واقعنا سلطة مطلقة، ولا بد للدولة أن تمتلك قوة شاملة تستطيع أن تفرض كل شيء، وأن تحصل على كل شيء يتفقد وصالح الجميع¹.

3. نظام الحكم

إن الدولة كنظام سياسي يعمل على حفظ الرعايا وتحقيق مبدأ المساواة والعدالة ويدير شؤونها هيئة تدعى الحكومة، ونظرية العقد الاجتماعي تسمح لنا بتكوين هيئة مكونة من أعضاء مهمتهم إدارة شؤون العامة (الشعب) والمحافظة على الأمن والسلم داخل المجتمع.

فالحكومة في نظر "جون جاك روسو" تمثل السلطة التنفيذية والتي تقابل السلطة التشريعية (الشعب)، وهي تمثل دور المنفذ لقوانين صاحب السيادة وهذه الهيئة (الحكومة) يسمى اعضاؤها حاكما، في حين تحمل بأسرها اسم (الأمير) والذي بدوره لا يمكنه وضع قوانين في ظل غياب الشعب، وقبل الخوض في مهام وانواع الحكومة، يجدر بنا تعدد به بعض المفاهيم.

يعرف جميل صليبا الحكومة بأنها التدبير وتوجيه شؤون الدولة وبأنها هيئة مؤلفة من أفراد يقومون بتدبير شؤون الدولة.²

كرئيس الحكومة، وزراء، موظفين، وتسمى هذه الهيئة بالسلطة التنفيذية.

كما يعرف "روسو" الحكومة على أنها: "هيئة وسطية بين المواطنين والهيئة التشريعية، وقوة معهود إليها في تنفيذ القانون وحماية الحرية المدنية والسياسية"³.

ويعرفها أيضًا بأنها "هيئة متوسطة، قائمة بين الرعايا والسيد ليتواصلًا، موكول إليها تنفيذ القوانين وصيانة الحرية المدنية والسياسية"⁴.

ويميز "روسو" بالنسبة للحكام الذين يتشكل منهم الأمير ثلاث أنواع من الارادات:

¹ سليمان سام، عز الدين مسعود، خاصة سيادة الدول، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 6، العدد 1، جوان 2021، ص 685-713.

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 493.

³ أندري كريستون، روسو حياته فلسفته، ترجمة نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت، ط 4، 1988، ص 122.

⁴ جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر. مصدر سابق، ص 84.

- الإرادة الخاصة: بمعنى تخصه كفرد والتي لا تهدف سوى لنفعه الخاص ومصالحته الشخصية.
- إرادة الحكام المشتركة: ويمكن أن نطلق عليها اسم إرادة الهيئة، وتضم الحكام الذين يتشكل منهم الأمير وترتبط بمصلحته، وتعتبر عامة بالنسبة للحكومة وخاصة بالنسبة للدولة التي تشكل الحكومة جزء منها.
- إرادة الشعب: أو ما يسميها روسو بإرادة السيد حيث يقول "هي عامة نظرا الى الدولة التي تعد الكل، أكثر مما إلى الحكومة التي تعد جزءًا من الكل"¹.

ويرى "روسو" أنه يجب أن تنعدم الإرادة الخاصة كونها لا تحدم الصالح العام، فهي ذاتية وأن تكون إرادة الحكام تابعة إلى الشعب، وبالتالي تسيطر الإرادة الأخيرة (السيد) وتصبح هي القاعدة الأساسية لباقي الإرادات الأخرى، ومن هذه العلاقة يمكن تركيز الحكم في يد عدد قليل من الأشخاص حتى يصبح أكثر قوة، وإن الحكومة القوية تناسب بشكل كبير الدولة الكبيرة، ولكن قيام الدولة يتطلب نوع من الحكم، وهنا يفصل "روسو" في أنواع الحكم حيث يقسمها إلى ثلاث:

3-أ: الديمقراطية: يعد هذا النظام السياسي من بين الأنظمة التي أثارت الكثير من الجدل حيث تعددت تعريفات الفلاسفة لها لاختلاف موقفهم منها، وقد عرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي: "الديمقراطية لفظ يوناني domos معناه الشعب، و cratos معناه السيادة وبالإجماع فتعني سيادة الشعب.

هو نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين وله ثلاث أركان الأولى تتمثل في سيادة الشعب، والثانية في المساواة، والثالثة في الحرية الفردية والكرامة الإنسانية، هذه الأركان الثلاثة مكتملة لبعضها البعض بلا مساواة، بلا حرية، ولا سيادة للشعب إلا إذا كان أفراده أحرار، والديمقراطية إما أن تكون سياسية تقوم على الشعب لنفسه وبنفسه مباشرة أو بواسطة ممثليه المنتخبين بجرية تامة، وإما أن تكون اجتماعية أي أسلوب حياة يقوم على المساواة وحرية الرأي والتفكير.²

أي أن أنها نظام سياسي تكون فيه الريادة على ثلاث أسس: الحرية والمساواة والعدل.

¹ جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر. مصدر سابق، ص90.

² فضل الله محمد إسماعيل، السعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر الغربي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، مصر، (د. ط)، 2006، ص145.

يرى "روسو" أن الديمقراطية أكمل أشكال الحكومة، ويجب أن يعهد السيد بأمانة الحكومة إلى شعبه كله أو الجزء الأكبر من الشعب، حيث يقول: "لو أن هناك شعباً من الآلهة، لحكم نفسه ديمقراطياً أن الحكومة تبلغ هذا المدى من الكمال لا تلائم البشرية"¹.

أي أن الحكومة الديمقراطية لا يمكنها الانصراف لخدمة مصالحها الخاصة أو مصالح فئة قليلة من الشعب على حساب المصلحة العامة، وهذا ما يؤدي في نظر روسو إلى سوء استعمال الحكومة للقوانين، مما ينتج عنه بالضرورة فساد التشريعات القانونية لخدمة المصالح الخاصة.

والحكومة الديمقراطية الناجحة يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:

- دولة صغيرة يسهل اجتماع الشعب فيها، حيث يستطيع كل مواطن أن يعرف مواطنيه.

- بساطة عامة من حيث العادات والتقاليد تحول دون تراكم الأشغال وحدة المناقشات الشائكة.

- مساواة مطلقة في المقامات والمراتب والثروات، بالرغم من أنه لا يدوم طويلاً.

- عدم البذخ والترف، الناتج عن تضخم الثروات الذي يكون دائماً إلى البحث عنها، "فهو يفسد الغني والفقير معاً الأول من جشع، والثاني بالحسد والرغبة. كما تعمل على جعل المواطنين كسالى ومتسلطين على بعضهم البعض"².

3-ب: الأرستقراطية:

لقد بحث الفلاسفة قديماً وحديثاً في موضوع الأنظمة السياسية، وأيهما يحقق الغاية من وجود الدولة، نجد من بين هذه الأنظمة الحكومة الأرستقراطية. وهي "طبقة اجتماعية ذات منزلة عالية، والتي تعرف بأنها تضم أحسن العائلات، وتتميز بكونها موضع اعتبار المجتمع لسلوكها المهذب، وسيادتها في المسائل الاجتماعية والسياسية"³.

فالأرستقراطية حكومة أو طبقة تمثل الأقلية الممتازة وهي تخالف الديمقراطية. كما أنها تسير أموراً من خلال ما يقره رؤساء الأسر.

¹ نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، دار الثروة للنشر والتوزيع، ط1، 1989، ص310.

² جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص158.

³ مصطفى حسبية، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص:51.

يعد النظام الأرستقراطي من بين أقدم الأنظمة، حيث أن المجتمعات الأولى حكمت نفسها بصفة أرستقراطية، وكان رؤساء الأسر يتشاورون فيما بينهم حول الأمور العامة، وكان الشبان يدعون لسلطان التجربة بلا سؤال، ومن هنا جاءت الأسماء، الكهنة والشيوخ ومجلس الأوائل.¹

أي تتولى الحكومة الأرستقراطية تسيير أمورها من خلال رؤساء الأسر والنقاش بينهم في جميع الأمور العامة. كما أن الحكومة الأرستقراطية لا يمكن أن تكون خارجة عن إرادة المواطنين في نظامها الداخلي، لأنه يمثل صاحب السيادة فيها.

والنظام الارستقراطي اتخذ ثلاثة اشكال وهي:

- الارستقراطية الطبيعية: وتصلح هذا الشكل على الشعوب البدائية البسيطة.

- الارستقراطية الانتخابية: وهي أفضل أنواع الحكومة وهي الارستقراطية الصحيحة الحققة.

- الارستقراطية الوراثية: وهي أسو انواع الحكومات.²

فالحكومة الارستقراطية هنا هي الحد يكون فيها جزء بسيط من الشعب يقوم بتنفيذ القوانين، والجزء الأكبر من الشعب تنفذ عليه القوانين، وتكون السلطة الثانية خاضعة للأولى.

يميز روسو في النظام الأرستقراطي بين الخصائص التالية:

- التعريف بين السلطات التنفيذية والتشريعية، القائمة على الانتخاب.

- تدار مجالس الحكومة بشكل أفضل وأعقل.

- حصر الوظائف العامة بشكل أقل.

- يكون ممثل الدولة من فئة النخبة خارج ما يعمل على تقوية الدولة.

3-ج: النظام الملكي:

تكلم روسو عن الأنظمة السياسية وهو النظام الملكي، وقد استهل كلامه عنه بالحديث شكل آخر من عن صاحب السيادة وأهميته، فهذا النظام جميع السلطات تكون في يد الملك، ففي هذه الحكومة يسودها مبدأ

¹ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مصدر سابق، ص: 97.

² المصدر نفسه، ص: 97.

القوة والسيطرة الذي يفرضه السلطان على رعيته بصفته حاكما لها وهذا ما وضعه روسو في كتابه العقد الاجتماعي قائلا: "لقد نظرنا إلى الأمير الآن كشخص معنوي أو جماعي موحد بقوة القوانين. ومؤتمن في الدولة على السلطة التنفيذية، وعلينا أن ننظر في هذه السلطة مجتمعة في يد شخص طبيعي، إنسان حقيقي، له وجهة الحق في استعمالها طبقا للقوانين. وهذا ما ندعوه عاهلا أو ملكا"¹.

فالسلطة في النظام الملكي تكون كلها للملك وحده، حيث أن الوصول للحكم يكون وراثيا، يعملون على تأهيل وأعداد الملك المستقبلي وفق نظام تربوي صارم حتى يؤدي دوره على أكمل وجه ليكون قادرا مستقبلا على استقبال الحكم.

وقد انتقد "روسو" هذا النظام بشدة، لأنه يرى أن تولي الملك الفردي ينتج عنه حاكم طاغية يستفرد بالسلطة المطلقة واستبعاد رعيته، وفيه تعلوا السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية التي تسيطر على سيادة الشعب.

فلا يهتم الحكام برعيتهم ويهملونهم ولا يكثرثون بحقوقهم، وذلك لعدم فهمهم للقوانين، مما يؤدي إلى الاستبداد والطغيان وإبداء الرأي الواحد. غير أنه يرى أن بعض الحكام يبدون اهتمامهم برعيتهم ونيل محبتهم ونصراتهم وخدمتهم.

فالحكومة الملكية هي تلك التي تكون فيها السلطة التنفيذية في يد رجل واحد يطلق عليه اسم(الملك).

¹ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، مصدر السابق، ص 142.

المبحث الثالث: أبعاد الفكر السياسي لجون جاك روسو:

01: الإنسانية:

يتجلى وجود الانسان في نظر "جون جاك روسو" كونه كائن يحس ويفكر ويريد ويتلذذ ويتألم ويجب ويكره، و هذه المشاعر توجد بقوة الانسان، وحتى يكون الانسان واثقا من وجوده، لا بد من تأمله في ذاته هي طبيعته الانسانية الخيرة، إذ هناك حركات تحدث في الانسان بدون انقطاع ويستشعر الانسان هذه الحركات، فيثبت انسانيته وهذا من خلال صقل تلك الحركات بالتربية (المواطنة) حتى يصبو إلى دولة القانون والحق والعدل، من خلال تجسيد كل معايير الاخلاقية وصولاً إلى الانسان العالم الذي يملك صفة الكمال، أو بالأحرى الكائن الأوحده الذي يكون قابلاً للكمال.

والطبيعة هي ما يتميز به الانسان من صفات فطرية، كما وصفته الطبيعة "أيها الانسان إليك تاريخك كما اعتقد أني قرأته، لا في بطون الكتب، وانما وضعها أمثالك فهم كذبة، وانما في صفحات الطبيعة لا تكذب أبداً، فعندي أن الانسان كما أبدعته الطبيعة كان حيواناً أقل في قوته من البعض، وأقل في خفته وحركته، ولكنه مرتب في مجموعة على شكل أقرب لفائدته

من أشكالهم جميعاً"¹

فغاية عصر الأنوار وضع معلوم حول تصور الطبيعة الانسانية، والمقصود هنا نقطة انطلاق لمهاجمة المعطيات اللاهوتية، وأن تعيد إلى علاقاته الاجتماعية شيئاً من بساطة حالة الطبيعة، حالة السعادة القائمة على طبيعة وخيرية الانسان، وبهذا الصدد يقول روسو: "إن الانسان كان مطابقاً في كل زمان لما هو عليه الآن"².

وقد طرح "جون جاك روسو" نظرة جديدة للطبيعة البشرية (الانسانية)، حيث يقول: "كل شيء يصنعه خالق البرايا حسن، وكل شيء يفسر بين يدي الناس"³. فالطبيعة البشرية خيرة بالفطرة ثم تأتي الحياة الاجتماعية لتغير في هذه الطبيعة وتفسدها.

لذلك لا يحكم "روسو" على الطبيعة البشرية منذ الطفولة، بل ينصح بعدم التسرع بالحكم على الطفل، يقول "لندع الحالات الخارقة النادرة تثبت نفسها بنفسها، ولنتفحص بعقل ثابت خصائصها قبل أن نتخذ لها

¹ إمام عبد الفتاح إمام، روسو والمرأة، دار النشر والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص35.

² جون جاك روسو، أصل التفاوت، مصدر سابق، ص32.

³ المصدر نفسه، ص28.

مناهج خاصة غير المناهج المتبعة في تربية الأطفال العاديين، ولنتح للطبيعة أن تقوم بعملها في هدوء، ولا نفسدها بتدخلنا وتسرعنا"¹.

ويرى "روسو" أن طبيعة الإنسان الفطرية قابلة للتعليم والتدريب، وأنه لا صعوبات في التعلم عند الأطفال، فسهولة التعلم لديهم خدعة تضلل عقولنا، وهي الدليل على أن الطفل لا يتعلم حقاً، فعقله المصقول اللامع الغض يعكس كل ما يلحق له، كما تعكس المرآة صور المرئيات بسطحها المصقول من دون أن تغوص في أعماقها، فالطفل يتذكر الألفاظ جيداً ويعيدها بحذافيرها فيفهمها السامع الكبير، أما الطفل الصغير الذي يقولها فلا يفقه معناها"².

من هنا وحسب روسو فالتربية الأولى ينبغي إذا أن تكون سلبية، أي تربية لا تراهن لا على تعليم الفضيلة ولا الحقيقة، وإنما على حماية القلب من الرذيلة وحماية الذهن من الخطأ، إنها قداسة الطفولة، كون هذه الاخيرة عند "جون جاك روسو" هي مشتل التربية (الانسانية) حيث لا قوانينها أو نحوها الخاص، كون الاطفال يولدون وهم يكتسبون القدرة على التعلم أي مهيوون بالفطرة capable d'apprendre nous naissons، لذلك فإنه من الضروري أن تقيم التربية على مبدأ الحرية، أي يوفر للطفل الشروط التي تحميه من المخاطر، وأن نغلق النوافذ التي تأتي منها الشر لبراءة الطفولة، هذا في المراحل العمرية الأولى، كون روسو يميز بين ثلاث انواع من التربية، تربية الطبيعة: وتربية الأشياء، وتربية الأسرة إذ يقول روسو: "إذ كنا نحمي التربة للنباتات بالفلاحة، فإننا نقوم بالشيء نفسه للإنسان عبر التربية، إننا نولد ضعفاء، ونحتاج إلى قوى ورعاية، نولد أغبياء "stupide" لذلك نكون بحاجة إلى ملكة الفهم، فكل ما لم نكتسبه لحظة ولادتنا، وكل ما كنا في حاجة إليه طيلة سيرورة نمونا يتم اكتسابه عن طريق التربية"³.

من هذا المنطلق فإن مقارنة الإشكالية المرتبطة بسؤال جعل "روسو" يعتقد بشدة أن قيام نظام الدولة الجديد، ونمط وجود اجتماعي جديد، يقتضي أولاً تكوين إنسانية جديدة، إنسانية أساسها الحق، الحرية، المواطن، العدل، وهذا الأمر يقتضي وضع نظام التربية والتعلم يخدم هذه الغاية، وهذا ما ينبغي أن تؤسس عليه المدرسة في جميع المجتمعات كهيئة من أجل بناء مشروع مجتمعي

¹ جون جاك روسو، أصل التفاوت، مصدر سابق، ص88.

² المصدر نفسه، ص89.

³ محمد طالع، جون جاك روسو، أو ميلاد مفهوم الطفولة الحديثة، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، مج19، ع73، 2017، ص110.

وبالتالي تبلور مفهوم دولة القانون تدريجياً، حيث اتخذ المفهوم في البداية كشعار سياسي وكهدف يتجه نحو بلوغه، فهو قائماً على مبدأ المقابلة لنماذج من الحكم بنيت على أسس غير تلك التي يرحي منها تحقيق الحقوق الفردية والجماعية على حد سواء خارج الامزجة والاهواء الشخصية الذاتية.

وتقوم الدولة الحديثة على إحلال العلاقات القانونية لأن "القوانين إذا ما قوضت عاد الحكام من فورهم غير شرعيين وعاد الشعب غير ملزم بطاعتهم وإذا أن القانون لا الحاكم، هو الذي يكون جوهر الدولة، فإن كل فرد يسترد بحق حريته الطبيعية"¹.

فسلطة القانون هنا هي السلطة المرجعية الأعلى التي تستمد منها كل الهيئات والمؤسسات والممارسات والتيارات مرجعيتها الرسمية، لذلك تفترض دولة القانون فهي دولة تجسد الحدائة السياسية والمساواة الصورية المطلقة، لا يتمايز الناس فيها من حيث الطبيعة والكينونة الانسانية، والذي يهيم دولة القانون هو التطبيق الفعلي لمبدأ "لا أحد فوق القانون".

ومقابل ذلك، فإن دولة القانون هي مبدئياً دولة الحق أو الحقوق أي الدولة التي تضمن قانونياً للأفراد حقوقهم المختلفة السياسية والاقتصادية والقانونية. ومن ثمة فإن حقوق الإنسان ليست مساحيق سياسية بقدر ما هي إطار قانوني وسياسي وثقافي ضامن للحق تشريعياً ومؤسسياً وثقافياً. فالقانون هو الصيغة المنظمة للحق في إطار نظام اجتماعي تعاقدية وألا يكون في الدولة من يستطيع القول أنه فوق القوانين.... وإن دولة القانون هي الصيغة التنظيمية السياسية التي فيها العلاقة بين الفرد والدولة، والهدف هو حماية الحريات الفردية، والتي تتحقق إلا انطلاقاً من تطبيق الديمقراطية في المجتمعات الانسانية.

وبالتالي قدم "روسو" نموذجاً للمجتمع السياسي قائماً على تمجيد الفرد وتكريس الحرية والمساواة في ظل سلطة الدولة، واصبحت صورة الانسان الحر الذي يتمتع بكينونة مطلقة تحوله أن يفعل ما يشاء بالطريقة التي يشاء.

وبالتالي المشاركة الفعالة المباشرة في ادارة الدولة وصناعة القرارات السياسية انما المواطنة وبهذا المعنى فهي اخفاء الشرعية للقوة، وذلك أنه حالما تكون القوة هي ما يضع الحق تتغير النتيجة بتغير السبب أي: أن كل قوة تغلب على قوة سابقة عليها تقوم مقام الحق الذي كان لها، ومن جهة أخرى فإنّ المواطنين هم الأعضاء الذين

¹ جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق، ص121.

ينظمون في شكل مجتمعات قومية تحمي هويتهم التي يتعاملون بها مع مواطنين من أقطار أخرى، إضافة إلى حريتهم في المشاركة في الحياة السياسية وإدارة شؤون الدولة بصفة مباشرة أو غير مباشرة¹.

وبالتالي هذا مزج بين المواطنة والسيادة عند "روسو" ليؤكد أن كل فرد ينتمي إلى الأمة يملك صفة المواطنة، مؤكداً بذلك بقوله: إن كل مواطن إذا تعاقد مع نفسه أصبح ملزماً بالخضوع لعلاقة مزدوجة فمن جهة كونه عضواً في صاحب السيادة يكون ملزماً تجاه الأشخاص، ومن جهة أخرى عضواً في الدولة، يكون ملزماً تجاه صاحب السيادة².

02: العلمانية:

لم يكن "جون جاك روسو" بعيداً عن الجدل حول رؤية الدين، خاصة أن المرحلة التاريخية التي عاشها بل وحتى التي بشر بها، كانت مرتبطة بالدين ولم يكن من المتصور أن تتخلى عنه، والسؤال المطروح ما هي رؤية روسو للدين. وما علاقته بالدولة؟

وقبل الإجابة على فحوى هذا الإشكال وجب علينا أن نرجع إلى مفهوم الدين كونه ظاهرة تاريخية رافق الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض حيث أثارت، بعلاقاته أو بتصوراته، غير أن هذا الاهتمام قاد إلى خلاف كبير سواء فيما تعلق بالرؤية إلى الدين أو غيرها. فكان التناقض والتقاتل.

وبنحو عام تعني كلمة الدين Religion في اللاتينية الاحساس المصحوب بخوف وتأنيب. الضمير بواجب ما اتجاه الآلهة، وتعني كلمة الدين المفردة دينا بوجه عام، مع ذلك يعيد هذا التعميم للكلمة واقعة مرموقة، فالدين هو مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين بأداء بعض العبارات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ في قيمة مطلقة لا يمكن بوضع شيء آخر في كفة ميزان، وهو اعتقاد الهدف الجماعة إلى حفظه بتنسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه ينظر إليها إما كقوة منتشرة وإما كثيرة وإما وحيد وهي الله، وكذلك الدين هو نسق فردي لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة موضوعها الله، والدين هو تحديد المطالبة بوجهة نظر الشعور والإيمان إلى جانب وجهة نظر العلم³.

¹ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، مصدر سابق، ص: 83.

² المصدر نفسه، ص: 96.

³ أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، 2001، ط 2، ص 1204.

أما في معجم جميل صليبا يعرف بأنه "الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم أو الإيمان بالجمال أو الإيمان بالإنسانية"¹.

1-2- الدين التقليدي والدولة:

يقول "جون جاك روسو" بهذا الصدد:

"لم يكن للبشر قط في أول الأمر ملوك سوى الآلهة ولا حكومة سوى الحكومة الدينية Theocratie، فقد كانوا يفكرون بمنطق "كاليغولا" وعندئذ كان تفكيرهم صحيحا، فلا بد من تزييف طويل في المشاعر والأفكار، حتى يتمكن الإنسان من إقناع نفسه باتخاذ آدمي مثله سيدا له وأن حالته سوف تكون أفضل"².

أي أن علاقة الدين بالسياسة في تاريخ البشرية كانت تشكل ثنائية لا يمكن الفصل بينهما، فكان البشر لا يحاربون من أجل الآلهة فحسب، ويرجع روسو فكرة تعدد الآلهة إلى ما يلاحظه البشر للقوميات والشعوب والقادة وفي هذا السياق يقول: "من هنا وحده أن البشر كانوا يضعون إنها على كل مجتمع سياسي، نتج أن صار هناك من الآلهة بعدد ما في شعوب العالم فلم يستطيع شعبان غريبان أحدهما ما عن الآخر وفي عداء دائم تقريبا، الاعتراف بسيد واحد تقريبا... وهكذا نشأ من التقسيمات القومية تعدد الآلهة عدم التسامح اللاهوتي والمدني"³.

هذه الرؤية جعلت "روسو" ينتقد التصورات المسيحية واليهودية لعلاقة الدين بالسياسة، فقد انقسم الناس وصار إيمانهم بالدين يقف حجر عثرة أمام طاعتهم للسياسة، ويؤكد "روسو" أن انفصال السلطتين قاد إلى الصراع نتيجة للنزاع بينهما، وتحولت المسيحية إلى سلطة موازية تمارس الاستبداد، ويوضح "روسو" فكرته بقوله: "إنما خشية الوثنيين قد حدث عندئذ كل شيء تغير وبدل المسيحيون لهجتهم، وسرعان ما رأينا تلك المملكة المزعومة في الآخر تصبح تحت قيادة رئيس بادي للعيان أعنف حكم استبدادي في هذا العالم (...). ومع ذلك أرادت شعوب كثيرة حتى في أوروبا أو في جوارها الاحتفاظ بهذا النظام القديم والعمل على إعادته، ولكن دون نتيجة فقد استحالت الروح المسيحية كل شيء لها والعبادة المقدسة بقيت دائما أو عادت مستقلة عن صاحب السيادة"⁴.

يمكننا القول إن نقد "روسو" لعلاقة الدين اليهودي والمسيحي بالدولة يمتد الجانب السلبي في فلسفته، ونقصد بذلك أن هذا النقد لا يهدف إلى القضاء على كل دين، أو رفض علاقته بالدولة، وإنما على العكس من ذلك

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص: 572.

² جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي، مصدر سابق، ص: 204.

³ المصدر نفسه، ص 201.

⁴ المصدر نفسه، ص 204.

يهدف من وراء ذلك إلى التأسيس لدين جديد يرتبط بالدولة بشكل يختلف عن علاقة الدين التقليدي، وهذا ما يمكننا التعبير عنه بالجانب الإيجابي في فلسفته، ذلك أن عملية الهدم ليست هدفا في حد ذاته، وإنما هي عبارة عن تمهيد لإعادة البناء وهذا ما يطلق عليه "روسو" مصطلح الدين المدني فماذا يقصد به؟

هذا الأخير قضية واضحة وقد ذكره في نهاية كتابه العقد الاجتماعي، إذ يحدد فيه مبادئ الدين المدني، كما أن هذا الأخير ليس تشريعا وثنيا كون الأديان الوثنية أقرب إلى الخرافة، بل هو دين الطبيعة الإنسانية في إطار تشريع صاحب السيادة، إذ يقسم "جون جاك روسو" الدين إلى ثلاثة أشكال: دين الانسان ودين المواطن ودين التناقض.

ومع ذلك فالأشكال الثلاثة للدين تنطوي على أخطاء في نظر "روسو" فهو يقترح دينا جديدا مغايرا ينسجم وطبيعة العقد الاجتماعي ويقول بهذا الصدد:

"وعليه يهيم الدولة أن يعتنق كل مواطن دينا يجبهه بواجباته، لكن معتقدات هذا الدين لا تهم الدولة ولا أعضائها إلا بمقدار ارتباطها بالأخلاق وبالواجبات المترتبة على معتقها اتجاه الآخرين فضلا عن ذلك يستطيع كل واحد أن يعتنق من الآراء ما يطيب له دون أن يكون من حق صاحب السيادة معرفتها، فليس ذلك كم شأنه بشرط أن يكونوا مواطنين صالحين في هذه الدنيا"¹.

وبهذا جاء "روسو" بمضامين دين جديد لم يعرفه الانسان من قبل، فقد جاء هذا الدين لإقامة الحياة بكل نشاطها، ومن هنا دعوة "روسو" لاستحضار العاطفة في الشأن الاخلاقي ويمتج فيها أيضا الإيمان باله قوي منعم بصير.

والدين المدني عند "روسو" ليس هو دين الطبيعة الإنسانية في عقائده، بينما هو دين مدني من حيث وظيفته وعلاقته المحددة بدولة العقد الاجتماعي والإرادة العامة والقانون، ولهذا أسماه "روسو" دينا مدنيا، لأن دين الطبيعة والفطرة هو فقط دين الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن أو رعية، فدين الإنسان لا علاقة له بالهيئة السياسية أو المجتمع، ولكن يريد أن يكون للدين دورا ووظيفة في مجتمع العقد الاجتماعي لكنه ليس دورا تشريعا ولا دورا تأسيسيا، ولكي يحدد "روسو" ذلك الدور وتلك الوظيفة بحدده يتخذ الشعور وليس

¹ جون جاك روسو، في العقد الاجتماعي، مصدر سابق، ص 211.

العقل ليكون أساسا للدين، وتأسيس الدين في الشعور يجعل وظيفة الدين الجوهرية هي الحب، وبهذا فإنه يجعل حب أداء الواجب هو الوظيفة الأساسية التي يريدها من الدين في مجتمع العقد الاجتماعي.¹

¹ فريال حسن خليفة، الدين والسياسة لفلسفة الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص125.

استنتاج:

من هنا نجد "جون جاك روسو" يلغي ثنائية الإنسان والمواطن ليصبح يجتمع العقد والإرادة العامة مجتمع الطبيعة الإنسانية النقية مجتمع الحب، وإلغاء الثنائية بين الإنسان والمواطن هو التمييز الحقيقي للدين المدني عن الدين الطبيعي، وهذا الأخير باعتباره دين الإنسان يجعل علاقة الإنسان بالدولة والمجتمع علاقة عامة، وبهذا يريد روسو أن يربط قلب الإنسان بمجتمع العقد والإرادة العامة ليطل ثنائية الإنسان والمواطن، لذلك فإن كل ما يطلبه روسو ويريده من الدين المدني هو أن يكون رباطا من الحب بين الإنسان ومجتمع العقد.

وعليه نستطيع أن نقول إن ربط "روسو" للدين المدني وبالدولة الجديدة يجعل منه دينا مختلفا عن الأديان التقليدية، وفي الوقت نفسه بديلا عنها، وبهذا فإنه يريد من الدين أن يكون جوهره الحرية لا الطغيان والاستبداد بل السلام، فهو ضد القتال وسفك الدماء، وهو بهذا يريد من الدين أن يكون رباطا للحب يربط قلب المواطن بمجتمع العقد، وبالتالي فإن علاقة الدين بالمجتمع هي علاقة حب وليست تشريع كما في الأديان السماوية.

الفصل الثالث: الفكر السياسي بعد روسو

تمهيد

المبحث الأول: كانط

المبحث الثاني: هيغل

المبحث الثالث: إرنست كاسيرر

استنتاج

الفصل الثالث: الفكر السياسي بعد جون جاك روسو

تمهيد:

إن الفكر السياسي من أبرز النشاطات الذهنية التي عمل على تطبيقها الإنسان وعلى وجه الخصوص الفلاسفة والمفكرين، كما نجدده أيضا مفعم بالنظريات السياسية والإسهامات الفكرية الخلاقة التي سعى أصحابها إلى إبراز مواقفهم من تلك الأزمات السياسية التي يتخبط فيها العالم عبر العصور لا سيما الحديث خاصة مع الفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو" يعتبر من أهم فلاسفة العقد الاجتماعي الذين أكدوا على أن إرادة الشعب الأصل الوحيد لتأسيس القانون، وذلك من أجل الوصول إلى غاية معينة تكمن في ترقية الفكر السياسي وتفعيله والمحافظة على توازن معين في النظام السياسي والاجتماعي تحقيقا للمصلحة العامة.

فمن المعلوم أن فكر وفلسفة "روسو" لها تأثير وصدى كبير على عصره وما بعده، خاصة وأنه عاصر تغيرات وتحولات عميقة، وذلك لظروف كانت تعيشها أوروبا وبصفة خاصة فرنسا، لهذا كانت فلسفته لها دور كبير في إعطاء قيمة للإنسان في الدولة باعتباره له حقوق طبيعية لا يمكن أخذها منه، حيث نادى بالديمقراطية والسيادة والحرية واعتبرها أساس الوجود الإنساني والركيزة الأساسية لنجاح أي نظام سياسي، رافضا بذلك صفة العبودية والنظام الاستبدادي المطلق الذي يكبل حرية الفرد ويجعلها في أيادي غير آمنة مستبدة وظالمة.

ونظرا للأهمية التي تحتلها فلسفة "روسو" السياسية فقد كان لها تأثير كبير على الفلاسفات التي جاءت بعده سواء في العصر الحديث أو المعاصر، خاصة فلسفة "إيمانويل كانط" * (Immanuel Kant 1724-1804)،

"فريدريك هيغل" (Friedrich Hegel 1770-1831)، أرنست كاسيرر Ernest

Cassirer (1874-1945) وعليه نتساءل: ما هو أثر فكر روسو السياسي على فلسفة كل من "كانط"

و"هيغل" و"كاسيرر"

* إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني ذو نزعة مثالية، أسس المثالية النقدية أو المتعالية وعرض بطريقة متماسكة النظرية النقدية في المعرفة والأخلاق وعلم الجمال ونظرية ملاءمة الطبيعة، وقد برهن في أعماله خلال الفترة النقدية على استحالة بناء مذهب من الفلسفة التأميلية دون دراسة تمهيدية لأشكال المعرفة وحدود قدرات الإنسان المعرفية. من أهم مؤلفاته، نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم. يودين روزنتال: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت، د ط، ص: 387.

** فيلسوف ألماني مثالي، يعتبر أحد أكثر الفلاسفة الألمان تأثيرا في المذاهب الفلسفية الحديثة، جادل في المقولة التي تفيد بأنه لكي نفهم أي ثقافة من الثقافات الإنسانية يجب أن نعيد تتبع وفهم تاريخها، ركز كثيرا على أهمية الفهم التاريخي لتطوير الدراسة التاريخية للفلسفة، الفن، الدين، العلم والسياسة، من أهم مؤلفاته: فنومينولوجيا الروح، المنطق، موسوعة العلوم الفلسفية، دروس في فلسفة الدين....

*** أرنست كاسيرر فيلسوف ألماني ومؤرخ الفلاسفة عضو من أعضاء مدرسة ماربورغ في الفلسفة الكانطية الجديدة التي كان نتاجا لها لدرجة أنه لم يتخل مطلقا عن الفلسفة الكانطية التي تعلمها في مدرسة ماربورغ، كانت أعماله ممتدة بصرامة إلى مدرسة ماربورغ بعد شعار إدوارد زيلر العودة إلى كانط، كما يمكن الإشارة أيضا إلى أنه قد عمل على توضيح نظرية المعرفة إلى جانب العديد من أفكار الفلاسفة الكانطيين الجدد أمثال "هرمان كوهن" و"بول ناتورب"، وبنافق مع العديد من نظريات العلماء في عصره لاس بما نظرية النسبية للعالم الألماني ألبرت أينشتاين (1879-1955) Albert Einstein، من أهم مؤلفاته: الدولة والأسطورة، اللغة والأسطورة، فلسفة التنوير... Muriel van Vliet, introduction l'oeuvre de Ernst Cassirer : de la théorie de la science à phénoménologie de la culture, presses universitaires de rennes, 2010, www.pur-edition.fr, p 10.

المبحث الأول: إيمانويل كانط

يذكر المفكر والفيلسوف الألماني "كانط" في كتبه ومؤلفاته أنه قد تأثر وأعجب بـ "جون جاك روسو" لأنه كان حامل لواء الحركة الرومنطيقية* قبال التنوير، فقد كان يدعو الى الدفاع عما يسمى الإيمان والأخلاق، وعن الوجود البشري ذات الطابع الفطري والطبيعي في مواجهة النزعة العقلانية، التي في الحقيقة خلقت الكثير من المشكلات والإشكاليات المعقدة والمبهمة وخلقت معضلات في الثقافة الغربية، من هذه الناحية تأثر "كانط" بـ "روسو" إلى حد كبير، ومن هنا نجد كانط كان يكثر من الحديث عليه¹.

لكن "كانط" تميز كذلك بمسألة جوهرية ذات طابع سياسي أخلاقي وهو السلم.... وله كتاب معروف ومشهور بعنوان "مشروع السلام الدائم" أعلن فيه عن انشاء حلف بين الشعوب هو السبيل الوحيد لتفادي الحروب وشروطها ومتاعبها². وفي هذا السياق يقول "حالة السلام بين الناس يعيشون جنباً إلى جنب ليس حالة فطرة، إذ أن الحالة الفطرية أقرب إلى أن تكون حالة حرب. وهي وان لم تكن دائماً حرباً معلنة. إلا أنها على الأقل قائمة على تهديد دائم بالعدوان، وإذن ينبغي إقرار حالة السلام... وإذن فهذا هي ذي المسلمة التي تصلح أن تكون أساس للمواد التالية جميعاً: وبالتالي يجب على جميع الناس الذين لهم تأثير ببعض أن ينتموا إلى دستور مدني ما.³

ينطلق "كانط" من مسلمة مفادها أن الإنسان في البداية كان يعيش حياة الفطرة أو ما يسمى بالطبيعة الأولى، وحسب تصوره كانت عبارة فوضى وصراع وحرب، ومن أجل إحلال السلام والاستقرار اضطر إلى تأسيس حياة مدنية منظمة وفق دستور وقوانين، أي نفس فكرة "روسو" عقد اجتماعي يسميه "كانط" بحلف السلام.

وبالرغم من أن تصور "كانط" لحياه الطبيعة شبيه لتصور "هوبز" بحياة الطمع والعدوانية والجشع، إلا أنه لا ينفي تأثره بـ "جون جاك روسو" في فكرة العقد الاجتماعي، وقد استهل "كانط" كتابه مشروع السلام بقاعدة تحوي على أن عهد السلام بين الناس لا بد أن يكون بنية السلام دون العودة إلى حالة الحرب وإلا نقض هذا العهد وفي ذلك يقول "" إن معاهدة من معاهدات السلام لا تعد معاهدة إذا انطوت نية عاقدتها على أمر من شأنه إثارة الحرب من جديد.... ذلك أن مثل هذه المعاهدة لا تعدو أن تكون هدنة، أو وقفاً للتسلح... فإن معاهدة

* الرومنطيقية أو الرومنسية: مذهب يهتم بالنفس البشرية وما تزخر به من العواطف والمشاعر وهو إطلاق النفس على سجيبتها وتحررها من قيود العقل الواقعية (نقلاً عن الاستغراب في حوار مع البروفيسور حسن غداري، نظام كانط تضيق لدائرة العقل، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 9، السنة الثالثة، 2017، ص15).

¹ الاستغراب في حوار مع البروفيسور حسن غداري، نظام كانط تضيق لدائرة العقل، مرجع نفسه، ص15.

² إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين مكتبة أنجلو المصرية القاهرة، ط1، 1956، ص9.

³ إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، مرجع سابق، ص 39-40.

السلام يجب أن تقضي على جميع أسباب الحرب في المستقبل، وإن تكن تلك الأسباب مجهولة في حينها من طرف التعاقد.¹

نفهم من ذلك أن "إيمانويل كانط" تأثر بشدة كبيرة وعمق بفلسفة "جون جاك روسو" السياسية. فقد أخذ "كانط" فكرة العقد الاجتماعي ودافع عن الحق الطبيعي وفكرة الحرية والمساواة كما تطرق الى فكرة السيادة، وهذا مفهوم مرتبط بتأسيس الدولة في المادة الخامسة في كتابه مشروع السلام الدائم: "لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها."²

وهذا يذكرنا أن "روسو" أكد أن السيادة لا تقبل التنازل والانقسام، حيث يقول: "إن المدينة كالأمة لا يمكن أن تسخر شرعياً لأخرى، لأن جوهر الهيئة السياسية هو توافق الطاعة والحرية، وبالتالي الطاعة والحرية مرتبطتان ببعض في كلمة المواطن الواحد."³

كما يؤكد "كانط" على أن دستور المدينة في كل دولة يجب أن يكون جمهوري فيقول: "إن الدستور الوحيد المستمد من فكرة العقد الأصلي التي يجب أن يقوم عليها كل تشريع قانوني لشعب من الشعوب هو الدستور الجمهوري. لأنه قائم على الحرية والمساواة بين المواطنين"⁴.

معنى هذا أن "كانط" يؤكد أن الدستور الجمهوري يؤسس على دولة عادلة يقول "إن شأن الشعوب حين تصير دولاً، كشأن الأفراد، في حال الفطرة (أي الخلو من كل قانون خارجي) يعتدي بعضها على بعض بحكم الحوار، ولا بد لكل شعب ليضمن أمنه وسلامته، أن يطلب من الآخر أن يشاركه في نظام شبيه بالدستور المدني الذي يرى فيه كل واحد ضماناً لحقوقه، هذا النظام بمثابة حلف شعوب."⁵

وباعتبار الحالة المدينة قد تأسست بالتنازل عن الحقوق من أجل حفظ الحقوق ذاتها، كأن يتنازل الأشخاص عن الحرية التي كانوا يتمتعون بها قبل الاجتماع، من أجل أن يكونوا أحرار في العقد الاجتماعي - كما رأى "جون جاك روسو"، فقد اعتبر "كانط" أن حالة المدنية تقوم على ثلاث مبادئ قبلية حيث يقول: تتأسس الحالة المدنية باعتبارها مجرد حال حقوقية، على المبادئ القبلية الثلاثة التالية:

1 - حرية كل عضو في المجتمع بصفته إنساناً.

¹ إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، مرجع سابق، ص: 25.

² المرجع نفسه، ص: 31.

³ جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، مصدر سابق، ص: 122.

⁴ إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، مرجع سابق، ص: 41 . 43.

⁵ المرجع نفسه، ص: 51.

2- تساوي كل إنسان مع كل إنسان الآخر بمفته منظورا.

3- استقلالية كل عضو في جماعة بصفته مواطنا¹.

اعتبر كانط الحرية، المساواة والاستقلالية هي مبادئ قبلية، اكتسبها الانسان قبل الحالة الاجتماعية، وهذا ما يذكرنا بموقف "روسو" الذي اعتبر أن الحرية والمساواة هي حقوق طبيعية حيث يقول: "وحيثما كان الحق والحرية كل شيء لم تكن المساوي شيئا، ولكن شيء يعطى قيمته الحقيقية².

إن تحالف الشعوب كان بداعي تقليص دائرة العنف وتوسيع مفهوم السلام عند كانط وهذا يفضل العقد الاجتماعي.

إن كانط ربط مفهوم السياسية والأخلاق ربطا محكما بمعنى لا يمكن فهم السياسية دون الأخلاق، أو إرساء السياسية مشروط بالأخلاق والهدف وجود دولة دورها الدفاع عن الفرد وتحسين ظروفه، وكان يؤكد على إخراج مواطن صالح أخلاقيا³.

فنجد أن فلسفة "كانط" تتفق مع فلسفة "روسو" في السياسية من خلال الاهتمام بالسعي والسيادة المطلق عن طريق فكرة احترام الجميع القوانين ليعم الخير العالم.

إن انتصار الثورة الفرنسية أدخل الأمل في نفس "كانط"، حيث كان يتمنى أن يسود النظام الجمهوري في أوروبا جميعا من خلال الديمقراطية، ويزول الاستعباد وينتشر السلم والمساواة ورفض التفاوت والامتياز الوراثي الذي كانت تتميز به بعض الأسر والطبقات، وهذا ما ناضل به "روسو" من قبل وعليه هناك توافق بين "كانط" و"روسو" في فكرة المساواة والحرية والسلم.

¹ صالح مصباح، فلسفة الحدائثة الليبرالية من هوبز إلى كانط، جداول للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص 188

² إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، مرجع سابق، ص 78-79.

³ زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د. ط، 2020، ص164.

المبحث الثاني: فريدريك هيجل (1770 - 1831):

لقد تميز "فريدريك هيجل" بالعديد من الآراء المتنوعة في الفكر السياسي نكاد نحصيها في كتابه: "أصول فلسفة الحق الذي تنوع في المواضيع من بينها الأسرة، المجتمع المدني الدولة. حيث أن مفهوم الدولة في نظره هي عبارة عن هيكل ورأيه يشابه آراء جون جاك روسو واستعارة الفكرة العقد الاجتماعي.

يعتقد "هيجل" أن الاجتماع المدني وأصل الدولة يعود إلى الأصل الأول وهو الحالة الطبيعية، وحاجة البشر لتوفير حاجياتهم جعلتهم مضطرين إلى التجمع فيما بينهم، وتكوين علاقات اجتماعية قائمة على الخدمات والمنافع. يقول: "إذا كانت الحياة الاجتماعية مغروسة في الطبيعة، فإن تكوين المجتمع المدني مرتبط بالدوافع والحاجات الموجودة فينا فطرياً... وهكذا ما يدفع السادس لتشارك والتبادل والتعاون... ويؤدي كذلك إلى تقسيم المهام والأعمال بينهم الإشباع الحاجات البشرية"¹.

وهذا يشبه فكرة فلاسفة العقد الاجتماعي وخاصة "روسو" هو الانتقال من الحياة الطبيعية إلى الحياة المدينة المنظمة بغرض توفير الغذاء والأمن والاستقرار.

يرى "هيجل" أن الفرد من حيث ما يملك حقوق وتمارسها هو شخص، وبالتالي له حقوق وإلزامية الحق هو كمن شخص واحترام الآخرين انطلاقاً من حيث هم أشخاص، ومنه يجب على الإنسان أن يتعامل مع الناس عن طريق عقد لكل أي نزاعات بين إرادات البشر، فهو مجبور لتكوين عقد². وعليه يتطلب من الإنسان صاحب الحق أن يتنازل كل شخص للآخر عن ملكيته، بمعنى أن يتخذ الإنسان فلماً، خارج فلك حريته أي ملكيته.

إن العقد هو عبارة عن مخطط لمعالم الدولة يقوم على اتحاد إرادتين في إرادة واحدة مشتركة بصفتها هذه حقاً³، وبالتالي يوضح "هيجل" أن العقد هو المبدأ الأساسي الأول للدولة الذي يقوم بين اتحاد إرادة الحاكم وإرادة المحكومين، وهي فكرة العقد الاجتماعي عند "روسو" القائمة على الحرية والمساواة.

فضلاً عن ذلك يرى "هيجل" كما رأى قبله "جون جاك روسو" أن الأسرة لمجتمع طبيعي هي النواة الأساسية للمجتمع، وأنها أقدم المجتمعات البشرية من الناحية التاريخية، وهي الظهور الأول للتجمع، وتفكك الأسرة يؤدي

¹ هيجل، أصول فلسفة الحق المجلد ترجمة إمام عبد الفتاح، دار التنوع للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2007، ص 51.

² رينيه سرو، هيجل واليهجلية، ترجمة أدونيس، الفكرة دار الطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط1، 2017، ص 62.

³ رينيه سرو، هيجل واليهجلي المرجع السابق، ص 62.

الى فكرة المجتمع المدني عن طريق الحرية من خلال استقلالية الأبناء بمعرفة القوانين وتكوين ملكية خاصة بهم، وأن يؤسسوا أسرة جديدة يصبح الأبناء رؤساء لها¹.

بمعنى أن الأسرة تتكون من الأب والأم والأولاد وبعدها هؤلاء الأولاد يكبروا ويؤسسوا أسر جديدة من خلال التفكك عن أسرهم، وهذا ما أشار إليه "روسو" من خلال أن الأسرة حالة اجتماعية مؤقتة تمنح الأبناء الحرية في الخروج منها متى أرادوا.

إن "هيجل" يقول: "لقد كان الفرد عضو في الأسرة وكانت نهايته الكفاح من أجل أسرته وبعدها في المجتمع المدني يتحول إلى النظرة الجزئية."²

أي أن الأسرة عند "هيجل" في الجانب الأخلاقي والعقلي تتحدد فيه جميع الغايات، أما في المجتمع المدني يعلو عليه صوت المصلحة، فالدولة عنده هي مركب الأسرة والمجتمع المدني وهي التحقق الفعلي للفكرة الأخلاقية. وبالتالي تظهر فلسفة "هيجل" وتتجلى أمام ذاتها فالأسرة عنده أبرزت فكرة مهمة وهي الكلية، وكما نعرف أنها هي النقطة الأولى التي تسبق المجتمع المدني، وعند تحول الإنسان إلى الحياة المدنية برزت فكرة أخرى وهي الجزئية، فالدولة أبرزت عنصر آخر وهو الفردية، وبالتالي ارتباط الكلية بالجزئية أعطانا الفردية وهي الدولة، التي تعتبر حياة الكل تظهر في جميع الأجزاء³.

فالدولة تكونت من تناقض أو مركب تناقض بين الأسرة ككلية والمجتمع المدني كجزء.

وعليه فالدولة هي التحقق الاجتماعي دورها حسب "هيجل" الأفراد يقومون بوظيفتهم ويعيشوا الكل والارتقاء بالإنسان ككائن أخلاقي، وبالتالي تحاول الدولة إخضاع الفرد لنظام جماعي إلى التخلص من طبيعة الانسان الحيوانية، وتتيح له أن يحرر نفسه من هذه الاستوائية الحيوانية من خلال الأخلاق⁴.

وهذا ما ذهب إليه "روسو" فكرة تنازل الأفراد عن حريتهم وحقوقهم لصالح الإرادة العامة، لأنه من يهب نفسه للجميع لا يهب نفسه لأحد كما يقول "روسو".

¹ هيجل، أصول فلسفة الحق، مرجع سابق، ص 50.

² المرجع نفسه ص 50.

³ هيجل، أصول فلسفة الحق، المرجع السابق، ص 54.

⁴ رينيه سرو، هيجل الهيكلية مرجع سابق، ص 64.

كما أن "هيجل" لا يعتبر النظام الجمهوري هو الأفضل وهنا يخالف "جون جاك روسو" فهو يرى أن أفضل نظام حكم هو النظام الملكي الدستوري الوراثي، لأن النظام الجمهوري يضع الفرد في المرتبة الأولى وتركز على الاختلاط بين المجتمع المدني والدولة¹.

يرى "هيجل" أن الملكية الدستورية هي أفضل نظام سياسي، وبالتالي خالف "روسو" و"كانط" اللذان أكدوا على النظام الجمهوري.

يؤكد "هيجل" أن الجميع ملزمون بالحفاظ على الفردية وعلى سيادة الدولة حتى ولو على حساب ممتلكاتهم وحياتهم، وعليه لا بد للفرد أن يضحي من أجل قضية عليا².

أخ "هيجل" على المحافظة على الدولة حتى ولو بالحرب واعتبره قيمة أخلاقية، نفس الشيء بالنسبة لـ "جون جاك روسو" السيادة لا تقبل التنازل عن السيادة، ويرفض "هيجل" الدعوة للعودة إلى الحرية الطبيعية، لأنها حالة من الأهواء والانفعالات الوحشية، وبالتالي المجتمع والدولة يمثلان الأخلاق والقانون وهو يربط بين الأخلاق والسياسة³.

إن أخلاق الفرد تقاس بالطاعة للحاكم، ورفض "هيجل" أخلاق الفرد أو حسب عقولنا⁴، وبالتالي نجد "روسو" أكد كذلك على فكرة طاعة الجميع للجميع.

¹ رينيه سرو، هيجل الميخيلية مرجع سابق، ص 64.

² الرجوع نفسه، ص 65.

³ علي حسين الجابري، الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2007، ص 188.

⁴ علي حسين الجابري، الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، مرجع سابق، ص 188.

المبحث الثالث: إرنست كاسيرر (28 يوليو 1874):

يؤكد "إرنست كاسيرر" أن السياسة قائمة على الجانب العملي الذي يجعل الإنسان مرتبطاً أو مرهوناً باتباع قواعد معترف بها في كل أفعاله النظرية الصرفة، حيث يعرف السياسة بأنها "فن خلق وحدة في الأفعال الإنسانية وتنظيمها وتوجيهها إلى غاية ما. لذلك هناك توافق بين الفرد والدولة وهذا من خلال أحداث وحدة في الكثرة وإحداث نظام توافق في فوضى عقولنا ورغباتنا وأهوائنا في الحياة السياسية والاجتماعية."¹

إضافة إلى ذلك فقد انطلق "كاسيرر" في حديثه عن الدولة من آراء كانط السياسية، مؤكداً في الوقت ذاته أنها عبارة عن مجموعة من الإرادات الفردية، حيث تصل إلى وضع تبدو فيه وكأنها نتيجة اتحاد هذه الإرادات الفردية، فهي بمثابة جسم يمكن إخضاعه إلى المنهج نفسه الذي أتى أكله في اكتشاف القانون العام للعالم المادي، وبالتالي لا يمكن فهمها إلا بعد تحليلها إلى مكوناتها الأولية ثم إعادة تركيبها منها.²

إن "كاسيرر" أراد أن يوضح أن الدولة هي تلك الرابطة التي تجمع الأفراد فيما بينهم وتوحدتهم، بل تجعلهم جسم واحد وفق قواعد قانونية متفق عليها، بهدف حماية المواطنين وضمان حقوقهم وحرياتهم السياسية، حيث لا يمكن لأي كان انتهاك هذه الحقوق وفرض قيود عليها.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفكرة التي أكد عليها "كاسيرر" قد سبقه إليها "جون جاك روسو"، لكنه اعترض عن اعتقاد هذا الفيلسوف بأن الأفراد ليسوا مخلوقات اجتماعية بطبيعتهم، معلناً أن من يعيشون منهم على الفطرة معزولين عن المجتمع فيكونون رقيق القلب وخالين من أية بواعث تدفعهم إلى إقامة الحروب والفوضى، ومن ثمة إيذاء بعضهم بعضاً، لكنهم ما إن يعيشوا معاً في مجتمع واحد يصيروا أشراراً، وبالتالي فالمجتمع هو الذي يفسد الأفراد من خلال إبراز ما لديهم من ميل إلى العدوان والأنانية.³

نلاحظ أن "كاسيرر" لا يتفق مع "روسو" في نظريته للطبيعة الإنسانية بأنها خيرة بالطبع وشريرة عند الاجتماع، حيث يرى أن "روسو" بالرغم من أنه لم يصف حالة الطبيعة بأنها حرب الجميع ضد الجميع، إلا أنه يرى فيها حالة كل فرد يعيش في عزلة تامة عن الآخرين وينظر إليهم بلا مبالاة، بل لا يرتبطون معاً بروابط أخلاقية وعاطفية، فكل منهم يعيش لنفسه فحسب ويبحث عما يحتاج إليه فقط كي يحافظ على بقائه.⁴

¹ كاسيرر، الدولة والأسطورة: ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985، ص 111.

² إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، ترجمة إبراهيم أبو هشيش، مراجعة ياسر الصاروط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ط 1، ص: 55.

³ أحمد الشيوخات، الموسوعة العربية العالمية، المجلد 11، الرياض، المملكة العربية السعودية 1999، (ط 2)، ص 343.

⁴ إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص 318.

من خلال هذا الطرح يتبين أنه ليس هناك تناغم بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة عند "روسو"، بل إنه من المستحيل تطابق هاتين المصلحتين في نظره، لأنه في أغلب الأحيان يمكن أن تبطل إحداها الأخرى، وفي المقابل يؤكد "كاسيرر" على وجود علاقة وثيقة تربط بين المصلحة الذاتية والمصلحة المشتركة للجميع في حيز قانوني، ففي اعتقاده إن الفرد منسجم ومتفق إلى حد كبير مع المجتمع، وهذا التآلف الموجود بينهما من شأنه أن يؤدي إلى قيام ما يسمى بالدولة وتحقيق الأمن والسلام.

يرى "كاسيرر" أن الغاية الأساسية للدولة هي الحفاظ على وجود مجتمع سياسي وحمانيته حماية تتلاءم مع العقل الإنساني، بمعنى أن الانسان بطبيعته وفطرته عبر التاريخ نجده غالبا في شكل من اشكال مجتمعات وليس فردا معزولا.¹

وبالتالي يؤكد "كاسيرر" أن المجتمع يقوم على غريزة أساسية في الطبيعة لا يمكن الغاءها بمعنى أن العلاقات الاجتماعية غير مرتبطة بعقد، وإنما بفطرة موجودة في عقل الانسان، لأن العقد لم يكن ممكنا ومفهوما إلا بافتراض مخالطة اجتماعية أصلية وقبولها، وهذه المخالطة التي لها أساس في العقل لا يمكن أن يحل محلها أي فعل تعسفي أو أي ميثاق مجرد.²

ومن جهة أخرى يؤيد "كاسيرر" "روسو" في تصوره لفكرة العقد الاجتماعي الذي لا يأتي كتعهد من الحكومين بإطاعة الحاكم، كما جاء في كتاب "هوبز" اللفايثان والوحش، بل كاتفاق الأفراد على أن يخضعوا رأيهم وحقوقهم وسلطاتهم لحاجات ورأي مجتمعهم ككل، وكل شخص يدخل ضمنا في مثل هذا العقد بقبوله حماية القوانين العامة، والسلطة العليا في أي دولة لا تستقر في أي حاكم فردا كان أو جماعة، بل في الإرادة العامة للمجتمع وتلك السيادة لا يمكن التخلي عنها أبدا، وإن جاز تفويضها جزئيا إلى حين.³

وفي هذا السياق يقول "كاسيرر" "إن العقد الاجتماعي هو لا شيء في ذاته وهو مناف للعقل ومخالف له، إذا كان يرغم الإرادات الفردية على التوجه خارجيا فحسب، مستخدما التدابير القسرية المادية بدلا من توحيدها داخليا، إن مثل هذا الرابط لا يتسم في الحقيقة بالثبات ولا قيمة أخلاقية له، ومثل هذه القيمة لا تكون لها سلطة عندما يكون الفرد خاضعا لها (...).، وحيث يواصل الأطراف الذين دخلوا في عقد بينهم التصرف، بوصفهم إرادات فردية على الرغم من هذا الالتزام، وحيث يتعاقد واحد مع الآخر، أو يعين أفراد حاكما يخضعون أنفسهم

¹ إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص: 314.

² المرجع نفسه، ص: 316.

³ ول ديورانت، قصة الحضارة " روسو والثورة"، مرجع سابق، ص 283.

له بصفته شخصا خاصا، فلن ينشأ من هذا الارتباط أي وحدة فعلية أو حقيقية، لأن هذه الوحدة لا يمكن التوصل إليها من خلال القسر إنما ينبغي أن تتأسس بصورة حرة.¹

فبالرغم من أن "كاسيرر" لم يتحد في بداية الأمر مع "روسو" في فكرته الخاصة بالعلاقة بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة، إلا أنه اقتنع بفكرة العقد الاجتماعي عنده، لكونها تمنح الحق للإرادة العامة أي إرادة الشعب الذي لا يمكن أن يضر بنفسه بينما الفرد حين يشرع لغيره قد يضر بهذا الغير، وبالتالي فإن الفرد في ظل العقد الاجتماعي قد يخسر بعض الشيء، لكنه في المقابل ينال أشياء أخرى أكثر قيمة، فإن كان قد خسر الحرية الطبيعية التي تركز على قوته والحق اللامحدود فيما تراه العين فإنه يفوز بالحرية المدنية التي تمدها له الإرادة العامة.²

يذهب "كاسيرر" إلى أن مثل هذه الحرية لا تستبعد الخضوع ولا تقبل التعسف في الفعل في أي حال، لكنها ضرورة القسوى لهذا الفعل، إلا أن هذا الخضوع مع ذلك لم يعد من جانب إرادة فردية أو من فرد من أفراد آخرين، أي أن الإرادة الخاصة ما عادت بالأحرى تريد وتطالب لنفسها إنما توجد ضمن الإرادة العامة، ومن هذا الارتباط تنشأ العلاقة الوثيقة، التي يرى "روسو" أنها تقوم بين المفهوم الحقيقي للحرية والمفهوم الحقيقي للقانون، ولا يتعلق الأمر هنا بتحرير الفرد وعتقه من شكل المجتمع كليا، بل بإيجاد شكل من أشكال المجتمع يتمتع فيه كل فرد في اتحاده بالآخرين بالقوة الكاملة للهيئة السياسية.⁽³⁾

فخضوع الأفراد للقانون ينطوي في نظر "كاسيرر" على الإيمان بسلطة الدولة وسيادتها، علما أن هذه السيادة نابعة في أصلها وأساسها من الإرادة العامة نفسها ومن ثمة لا يكون هناك تعارض بين الإرادات العامة وسلطة الدولة، فتلك الإرادات هي التي عملت على السماح لتلك السلطة بالحكم، لأنه عندما يكون الفرد ليس مجبرا على مواجهة الفكرة الخالصة للدولة القانونية، فإنه لا يظل في حاجة إلى أن يكون محميا على أساس أن الحماية الحقيقية تتم في الدولة وبواسطتها بحيث يكون من العبث أن يحمي نفسه منها.⁴

لذلك يصبح الأفراد حسب "كاسيرر" أفرادا بالمعنى الأسمى وتابعين حقيقيين للإرادة في حين أنهم كانوا سابقا مجرد كيانات من الغرائز والمشاعر الحسية، فالشخصية المستقلة لا تنشأ إلا نتيجة للارتباط بالإرادة العامة، وعلى الرغم من أن دخول الإنسان في المجتمع كما يبين "روسو" يسلبه ميزات كثيرة كان يمتلكها عندما كان كائنا فرديا إلا أنه

¹ أرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص 319.

² سارة بلخيري، السياسة والأخلاق عند أرنست كاسيرر، إشراف عبد الغني بوالسكك، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة باتنة 1، 2022، ص: 100.

³ أرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص 319 . 320.

⁴ فؤاد مخوخ، التنوير من منظور كاسيرر، مجلة تبين، دورية محكمة، العدد: 29، 2019 قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص 77.

يكتسب من ناحية أخرى ذلك التطور في قدراته والتيقظ في أفكاره والتهذيب في مشاعره، ويتحول من حيوان غبي جاهل إلى كائن ذكي وإنسان.⁽¹⁾

يبدو أن "روسو" قد أثر في "كاسيرر" من خلال مساهمته في تأسيس الدولة والنظام الديمقراطي الذي امتد فيما بعد إلى الكثير من الدول الأوروبية، فقام باستبعاد الطبيعة كمصدر للقانون، ورأى أنه ليس هناك سلطة لإنسان على مثيله الإنسان، معتبرا في الوقت ذاته إرادة الشعب الأصل الوحيد لتأسيس القانون، باعتبار أن كل مواطن هو في علاقة مزدوجة مع الدولة بوصفه مشرعا، انطلاقا من أنه عضو من أعضاء صاحب السيادة الذي له غاية واحدة هي الخير العام، وبوصفه فردا لا بد أن يطيع من حيث ضرورة خضوعه للقانون.²

ووفقا لهذا يصرح "كاسيرر" بأن الدولة قد تم تأسيسها على أنها دولة ولا وجود فيها لأي مصدر قانوني أو فاعل سوى الإرادة العامة، وإذا كان الحال كذلك فلن يبدو كل تقييد للسيادة فائضا عن الحاجة بل متناقضا أيضا، لأن السؤال عن المقدار أو عن المدى المجرد للسلطة هو بلا معنى، فالأمر هنا يتعلق بمحتوى السلطة ومبدؤها وكلاهما لا يقيم أي اعتبار للمقياس، وبمأن الفرد لا يواجه القوة المادية إنما الفكرة النقية للدولة الدستورية، فلن يحتاج إلى أي حماية، ومن الآن فصاعدا تتحقق الحماية الحقيقية للفرد في الدولة ومن خلالها، وأي حماية خلافا للدولة تكون بلا معنى.⁽³⁾

إن السلطة الحكومية حسب "كاسيرر" سواء كانت متجسدة في فرد أم تمارسها أغلبية ليست أكثر من سلطة مفوضة، لا تستطيع إلغاء وانتهاك سيادة الشعب الذي هو التعبير المكافئ للإرادة العامة والحامل الوحيد لها، فسلطة الحكومة تبقى شرعية فقط ما دامت مستمدة ومؤكدة من الشعب، وفي اللحظة التي يبطل فيها هذا المفوض الإرادة العامة، فإن هذه السلطة التي لا تملك وفقا لطبيعتها أي معنى آخر غير المعنى الإداري تفقد كل حق قانوني، فليس الفرد إنما المجموع أي الإرادة العامة هي من يملك حقوقا أساسية معينة، لا يمكنها التنازل عنها أو تفويضها إلى الآخرين، لأنها في ذلك تدمر ذاتها بوصفها موضوع إرادة وتتخلى عن طبيعتها الحقيقية.⁽⁴⁾

زيادة على ذلك فقد اتفق "كاسيرر" أيضا مع "روسو" في فكرة ربطه بين السياسة والأخلاق، لدرجة أن المجتمع السياسي والسياسة بالأخص كانت من أهم مواضيع "كاسيرر" عندما ربطها بالأخلاق

¹ إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص 320 . 321.

² سارة بلخيري، السياسة والأخلاق عند إرنست كاسيرر، مرجع سابق، ص: 105.

³ إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص 321.

⁴ المرجع نفسه، ص 323 . 324.

وعلى هذا الأساس يرى "كاسيرر" أن الدولة لها دور في ارساء القيم والأخلاق وانشاء أفراد أخلاقيين، حيث أن الوظيفة الأولية والمهمة التي لا بد من الدولة والقانون القيام بها هي حفظ الأفراد وحمائهم في المجتمع حماية انسانية والإنسان يحاول دائما الوصول إلى الحق حتى بدون مصلحة وبالتالي هناك الاتحاد بين القانون والروح الإنسانية¹.

وعليه يؤكد "كاسيرر" أن "روسو" له نظرة جديدة على بعض فلاسفة التنوير من خلال طرح أفكاره السياسية، ويؤكد كذلك تأثره بـ "كانط" الذي يعتبر له الفضل في فهم "روسو" وبالتالي يعتبر "كاسيرر" من أهم الكانطيين الجدد أو الكانطية المحدثه.

¹ أرنتس كاسيرر، فلسفة التنوير، مرجع سابق، ص316.

استنتاج:

خلاصة القول إن "روسو" أثر في فلاسفة العصر الحديث والمعاصر حيث تأثر "كانط" به خاصة في اهتمامه بالجانب الإنساني والعمل على تحرر قيود العقل مؤكدا أيضا على نفس فكرة العقد الاجتماعي، وأن الإنسان أو الوجود الإنساني له طابع فطري وطبيعي، لكن الفطرة بالنسبة للإنسان حسب "كانط" كانت قائمة على الحرب والتهديد وبالتالي كان يدعو إلى السلام، وعليه كانت الانطلاقة واحدة بينهما وهي الفطرة الطبيعية. كما أكدوا على فكرة العقد والحياة المدنية وبالتالي هناك توافق بينهما في نقطة الحرية والطاعة بواسطة النظام والدستور الجمهوري من خلال المساواة بين المواطنين.

وعليه يمكن القول إن "كانط" و"روسو" يدعوان إلى النظام الجمهوري وإلى الحرية والمساواة.

أما "هيجل" له نفس فكرة العقد الاجتماعي لروسو والحالة الطبيعية ومن ثم الانتقال من الحياة الطبيعية إلى الحياة المدنية، والعقد هو المبدأ الأساسي الأول لدولة إرادة الحاكم والمحكومين.

كذلك يؤكد كل من "هيجل" و"روسو" على مسألة النواة وهي الأسرة، كما يركز كل منهما على الجانب القائم على التناقض بأن الأشخاص يتنازلون عن حريتهم وحقوقهم لصالح الإرادة العامة، لكن الاختلاف فقط يكمن في أن "روسو" يدعو إلى النظام الجمهوري أما "هيجل" يدعو إلى النظام الملكي الوراثي.

يعتبر "أرنست كاسيرر" من أهم أعضاء مدرسة ماربورغ الفلسفية الألمانية ينتمي إلى ما يسمى بالنزعة الكانطية الجديدة، من خلال تأثره بكانط ومبادئه وفلسفته النقدية حيث درس وفهم "جون جاك روسو" عن طريق دراسته لـ "كانط"، مؤكدا أنه الأفضل الذي درسه.

إن السياسة عند "كاسيرر" تمثل الجانب العملي الذي يجعل الإنسان يحافظ على ذاته، حيث تلعب دور مهما في الحفاظ على المجتمع والجماعات وبالتالي تكوين علاقات بين الأفراد والمجتمع، وهي ذات الفكرة التي قام بطرحها "جون جاك روسو".

إضافة إلى ذلك فقد أكد كل منهما على ربط السياسة بالأخلاق موضحين أن السياسة لوحدها لا تكفي إلا في وجود الأخلاق فلا مجال إذن للفصل بينهما، وعليه نجد أن فلسفة "روسو" لها أثر وتأثير كبير على فلسفة "كانط" و"هيجل" و"كاسيرر" وخاصة فكرة العقد الاجتماعي والعمل السياسي.

الختمة

خاتمة:

من خلال ما تم تحليله والكشف عنه في هذه الدراسة وبعد الامام بمجمل الأفكار حول الفكر السياسي لـ "جون جاك روسو"، باعتباره ذلك الفيلسوف والمفكر السياسي المحب للطبيعة، إذ يعتبر المرجع المهم والأساسي الذي لا يمكن الاستغناء عنه، كون فكره السياسي يعتبر مسألة في غاية الأهمية، سواء تعلق الأمر بالموضوعات والاشكاليات. الله تناولها، أو الفلاسفة الذين اهتموا بهذا الفكر وبفضاياه، فقد قدم (الفكر السياسي لجون جاك روسو)، نظريات ومبادئ صنعت انسانية الانسان، ورفعت من قيمته، ووضحت له حقوق لا يمكن الاستغناء عنها أو سلبها.

يمكننا القول إن هذا المفكر والفيلسوف والسياسي عمل مشروعاً سياسياً متكاملًا، وهذا ما يجعلنا نقف على أهم الاستنتاجات والملاحظات المتوصل إليها، كونه كان له الدور والبصمة الخاصة التي ميزته عن غيره، فهو لم يقلد الفلاسفة الذين سبقوه، بل مشروعه اختلف اختلافاً جذرياً عن كل ما ذهب إليه الفلاسفة خاصة فلاسفة العقد الاجتماعي أمثال "توماس هوبز" و "جون لوك".

فـ "جون جاك روسو" لم يكن فكره وليد الصدفة إنما جذور فكره تعود إلى الحضارات والعصور القديمة، واحتكاكه بفلاسفة عصره، إلا أنه انفرد بشخصه وجعل لنفسه نهجاً وطريقاً فرده عنه غيره

لقد كان "روسو" من بين فلاسفة العقد الاجتماعي، والذي أعطى قيمة ومكانة مرموقة للبشرية، ويعتبر المرجع الأساسي الذي لا يمكن الاستغناء عليه في الفكر السياسي الحديث.

كما يعتبر "روسو" من الفلاسفة الذين تغنوا بالإنسان الطبيعي، في صورة الانسان السعيد الخير الذي لا يعرف القيود والحواجز ويتصرف بتلقائية وحرية، كونه يعيش في حالة الخير والمحبة والسعادة، اذ تعتبر الطبيعة الحاضرة (الطبيعة) خلقت الانسان الطيب ولكن المجتمع هو سبب فساد، هذه الحالة الطبيعية التي تكلم عنها تعتبر أهم ركن من أركان نظريته السياسية والتي جعلها كأساس لإصلاح المجتمع المدني، فهو وان قدم لنا أفكار مترابطة ومتناسقة حول حالة الافراد الطبيعيين، إلا أن جل المفكرين يرون بأنه لا يقدم في ميدان السياسة سوى مجرد افتراضات واقتراحات، ومع هذا فكل ما قدمه "جون جاك روسو" للإنسان هو الذي أدى إلى ظهور نظريات عامة تتعلق بالسياسة في جوانبها التطبيقية.

ويوضح "روسو" أن من أهم أسباب ومظاهر الحرية والصراع والفساد، الذي تعاني منه البشرية، مرده للتقدم للمجتمع المدني.

ونجد أن "روسو" يخلص إلى نتيجة مفادها أن الناس بعد أن طغت عليهم الكثير من المساوىء في الحالة الطبيعية، لجئوا الى الاتفاق فيما بينهم للدخول في حالة تكون أكبر تنظيماً وضماناً لحقوقهم الطبيعية التي كانت معرضة للانتهاك والسلب، فموجب هذا الاتفاق (العقد الاجتماعي) والذي هو التزام جماعي بين افراد المجتمع مع الكل. بالاتفاق والتراضي فالأفراد يتخلون عن حقوقهم للإرادة العامة، هذه الأخيرة تعتبر معصومة من الخطأ وأن هدفها ليس سوى الصالح العام، فهي ليست إرادة أفراد معينين، وإنما تعبر عن ارادة الشعب، لان الشعب قد يخطئ في حين أن الإرادة العامة لا تخطئ ابداً.

ونظرية العقد الاجتماعي عند "روسو" لا يمكن أن تقوم على القوة، بل هي قائمة على دفاع حقوق الانسان، وهنا اتفق فلاسفة العقد الاجتماعي في تصورهم للحالة الطبيعية، بأنها قائمة على مبدأ الحرية والمساواة. لكن انفرد "روسو" بنظريته فيما يتعلق بفكرة السيادة، وتخلي الناس عن حقوقهم الطبيعية للدولة، وهذه الأخيرة تعيدها لهم وتصبح حقوق مدنية، إنها الحرية الطبيعية التي تهدف إلى بناء حياة اجتماعية حقة حسبه.

أما بالنسبة للحكومة عند "روسو" تستمد قوته وسلطتها من إرادة الشعب (الارادة العامة) وهذا من أجل تكوين دولة والابتعاد عن الشرور التي بدأت نظراً في الحالة الطبيعية.

إن فكر "روسو" السياسي كان له الأثر الواضح في أفكار غيره من الفلاسفة والمفكرين في عصره وبعد عصره، كما كان لأفكاره الفضل في ولادة الثورة الفرنسية عام 1789م، حيث اعتبر فكر روسو. انجيل الثورة الفرنسية، إذ أنها اعتنقت مذهب "روسو" في حصر السيادة بين الشعب وحده كوحدة لها شخصيات مستقلة عن شخصية الأفراد المكونين لها، إضافة إلى أنها أخذت بمذهب القانون الطبيعي ليكون موجهاً لها، فقد لعبت أفكاره دوراً مرموقاً في بناء التفكير السياسي خاصة دفاعه عن حقوق الانسان، باعتباره حقوق طبيعية لا يمكن التنازل عنها (فكره الحقوق الطبيعية الديمقراطية).



قائمة
المصادر
والمراجع

قائمة المصادر:

1. جون جاك روسو، أميل والتربية، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر 1956.
2. جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي للنشر، القاهرة، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، ط1، 2011.
3. جون جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1995.
4. جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة النهضة، ط1، الجزء1، 1983.

قائمة المراجع:

1. ابراهيم ابراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق عمان، 1998، ص37.
2. إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، الناشر دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط1، 2001.
3. أبو اليزيد على المقيت، تطور الفكر السياسي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، 1970.
4. أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1973.
5. أبو نصر الفارابي، التنبيه على سبيل السعادة. تقديم وتحقيق البير نصري نادر، دار الشرق، بيروت لبنان، ط1، 1976.
6. أرسطو، السياسات نقله من الأصل اليوناني وعلق عليه الأب اغسطين، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية بيروت، ط1، 1957.
7. أرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، ترجمة ابراهيم ابوهشيش، مراجعة ياسر الصاروط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ط1.
8. أسعد عبد الوهاب عبد الكريم، الفكر السياسي والنظرية السياسية (دراسة مقارنة)، كلية العلوم السياسية جامعة الكويت، 2017.
9. إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسة، دار الفجر للتوزيع والنشر، القاهرة، ط1، 2001.
10. إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسة، دار الفجر للتوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
11. اشتي فارس، مدخل الى العلم بالسياسة، بيسان، بيروت، 2000، ط2.

12. أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
13. إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة " دراسة في فلسفة الحكم "، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د . ط)، 2002م
14. امام عبد الفتاح امام، الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، د ط
15. امام عبد الفتاح امام، توماس هوية فيلسوف العقلانية دار التفاتة النشر والتوزيع، 6 شارع سيف الدين المهراي، 1980، ط1.
16. إمام عبد الفتاح إمام، روسو والمرأة، دار النشر والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
17. أندري كريستون، روسو حياته فلسفته، ترجمة نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1988.
18. ايمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين مكتبة أنجلو المصرية القاهرة، ط1، 1956.
19. بوخنسكي جوزيف، مدخل الى الفكر الفلسفي، ترجمة: محمود حمدي زفزوق، دار الفكر العربي، مصر القاهرة، 1996.
20. بيير فرانسوا موروا: هوبس فلسفة علم دين، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (ط . 1)، 1993م.
21. جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة الى عصر الأنوار ترجمة كايي الدواوشة، دار التكوين، ط1، 2010.
22. جان جال شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة الى الدولة القومية، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1993.
23. جون لوك: الحكومة المدنية " وصلتها بنظرية العقد الإجتماعي، ترجمة: محمود شوتى الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر، شارع منصور، (د . ط)، (د . ت).
24. جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنه، المجلس الأعلى للثقافة، (ط . 1)، 1997.
25. جون لوك: في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، (د . ط)، 1959م.
26. حسن فوزي النجار، الفكر السياسي الحديث، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.
27. حسن فوزي النجار، الفكر السياسي الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1967.

28. رأفت عبد العزيز البويهي وآخرون، أصول التربية المعاصرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر كفر الشيخ دسوق، ط1، 2017.
29. رينيه سرو، هيجل والهيكلية، ترجمة أدونيس، الفكرة دار الطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط1، 2017.
30. زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د ط، 2020.
31. سعد عبد الوهاب عبد الكريم، الفكر السياسي والنظرية السياسية، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العدد 27، سبتمبر 2016.
32. صالح مصباح، فلسفة الحداثة الليبرالية من هوبز إلى كانط، جداول للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2011.
33. صلاح الدين بسيوني، كونفوشيوس، رائد الفكر الانساني (د ط الاسكندرية، مكتبة الإسكندرية)، د س.
34. صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، (ج . 1)، الأكاديمية العربية، الدانمارك، (د . ط)، (د ت).
35. عبد الجليل كاظم الولي، قرارات جديدة في قضايا فلسفية، مكتبة أنجلو المصرية، مصر القاهرة، ط1، 2010.
36. عبد الرحمن بدوي، أفلاطون عند العرب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1944.
37. عبد الكريم بلبل، مدخل الى الفلسفة، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر، عمان، ط1، 2018.
38. عبد الله هبب الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1973.
39. عصام سليمان، مدخل الى علم السياسة دار النضال، بيروت، ط2، 1989.
40. علي أحمد عبد القادر، مقدمة في النظرية السياسية، مطبعة الكيلاني، مصر القاهرة، 1974.
41. علي حسين الجابري، الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2007.
42. عمر عبد الحميد، الفكر السياسي الصيني القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999.
43. عمر عبد الحي، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الفرع الثالث، ط1، 1999.
44. غنار سكيريك وآخرون: تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (ط . 1)، 2012م.

45. الفارابي أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د. ط) 1990.
46. فاروق سعد، الفكر السياسي قبل الأمير وبعده، دار الجبل ودار الأفق الجديدة، بيروت، ط24، 1999.
47. فريال حسن خليفة، الدين والسياسة لفلسفة الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2005.
48. فضل الله محمد إسماعيل، السعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر الغربي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، مصر، (د.ط)، 2006.
49. فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2008.
50. فيليب كوركوف، كبار المفكرين في السياسة، مصارات نقدية في الفلسفة السياسية، ترجمة علي نجيب ابراهيم، دار الكتاب العرب، لبنان بيروت، 2014.
51. قحطان احمد سليمان الحمداني، النظرية السياسية المعاصرة، دار حامد للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2003.
52. كاسيرر، الدولة والأسطورة: ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985.
53. كونفوشيوس، المحاورات، ترجمة محسن سيد فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2000.
54. كوين بونتن، أفكار ورجال (قصة الفكر الغربي)، ترجمة وتقدم: محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965.
55. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، تونس، 1988.
56. محمد الهلالي وعزيز لزرقي، الحق والعدل، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2014.
57. محمد حسن هيكل، روسو حياته وكتبه (د.ط) دار المعارف القاهرة مصر، (د.ن).
58. محمد طالب مدلول، موقف القرآن الكريم من الفكر المادي، دار الكتب العلمية بيروت، 2007.
59. محمد عبد الرحمان بيبصار، تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1980.
60. محمد عبد الرحمن مرجبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية.
61. محمد وقيع الله أحمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، (ط . 1)، 2010م
62. محمد وقيع الله أحمد، مدخل الى الفلسفة السياسية، دار الفكر دمشق، 2010.
63. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مكتبة أنجلو المصرية، 1979.
64. مصطفى حيسبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009.

65. مولىس دوقرجية، مدخل الى علم السياسة، ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور جمال الاتاسي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.
66. نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، دار الثروة للنشر والتوزيع، ط1، 1989.
67. نھاوند علي العلوي، بحوث فلسفية، أفكار في السياسة عند جون لوك، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 24، 2018.
68. هالة أبو الفتوح، فلسفة الانطلاق والسياسة (المدنية الفاضلة عن كونفوشيوس)، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، عمدة غريب، ط1، 2000.
69. هيجل، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح، دار التنوع للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2007.
70. ول واريل ديورافت، قصة الحضارة الشرق الأقصى الصيني ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع من الجزء الاول، دار جيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
71. يوسف ابو الحجاج، افلاطون مؤسس الفلسفة الغربية، دار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، مصر القاهرة، ط1، 2018.
72. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة فاروس للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
73. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف (القاهرة مصر)، ط5، 2012.
74. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1990.

المعاجم:

1. ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة مصر، 2008.
2. ابن منظور، لسان العرب حرف الفاء، الجزء 11، دار صادر بيروت.
3. ابن منظور، لسان العرب، الجزء 06، نشر أدب الحوزة، إيران، 1984.
4. أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.
5. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ج1، 1982.
6. جيفري روبرت اليستار، المعجم الحديث للتحليل السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999، ط1.
7. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج11، 1414هـ.

الموسوعات

1. أحمد الشيوخات، الموسوعة العربية العالمية، المجلد 11، الرياض، المملكة العربية السعودية 1999، (ط 2).
2. أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، 2001، ط 2.

المجلات

- 1 جوهر بالحناني، أثر الفلسفة الرواقية في الفكر السياسي المسيحي، توما الاكوييني أنموذجا، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد9، ديسمبر 2019.
- 2 حميداني سليم، الفكر السياسي في العصور الوسطى، مطبوعة بيداغوجية، جامعة 8 ماي 1945 قلمة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2017/2016.
- 3 سليمان سالم، أ.د. عز الدين مسعود، خاصية سيادة الدولة، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد6، العدد1، جوان 2001.
- 4 سليمان سالم، عز الدين مسعود، خاصية سيادة الدول، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد6، العدد1، جوان 2021.
- 5 فارس النداف، الفكر السياسي المسيحي ومفهوم الدولة عند توما الإكويني، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (39)، العدد 3، 2007.
- 6 فؤاد مخوخ، التنوير من منظور كاسيرر، مجلة تبين، دورية محكمة، العدد: 29، 2019 قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 7 محمد طلوع، جون جاك روسو، أو ميلاد مفهوم الطفولة الحديثة، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، مج19، ع73، 2017.

الأطروحات الجامعية:

1. المواطنة في الفكر السياسي من التراث الى الفكر المعاصر، رسالة دكتوراه في الفلسفة، اعداد: معمر جلول حدة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، الموسم 21/20.
2. سارة بلخيري، السياسة والأخلاق عند أرنست كاسيرر، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث ل م تخصص فلسفة تطبيقية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة 1، 2023/2022.
3. صلاح علي نيوف، مدخل الى الفكر السياسي الغربي (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية القانون والعلوم السياسية الأكاديمية العربية بالدمنارك.

المواقع الالكترونية:

أ-منتديات علمية:

1. منتديات ملك روجي: الفكر الفلسفي السياسي عند توماس هوبس، قسم الفلسفة والعلوم النفسية الإنسانية، 29 / 05 / 2009م.

ب-مواقع أخرى:

2. أحمد فرحات، في ضرورة العودة الى فن السياسة، مجلة العربي الجديد دار أمجد للنشر والتوزيع، ط27، 01 فيفري 2024، <https://www.alaraby.co.uk>

3. عادل بن صالح صمهود، منطق أرسطو وموقف الفلاسفة المنتسبين للإسلام والمتكلمين منهم، مقال على شبكة الانترنت منشور بتاريخ: 2024/03/09، متوفر على الرابط الالكتروني: <http://google/eordya>.